حول مقالة إسحاق ابن عمران

في الماليخوليا

الدكتور شمس الدين حمودة

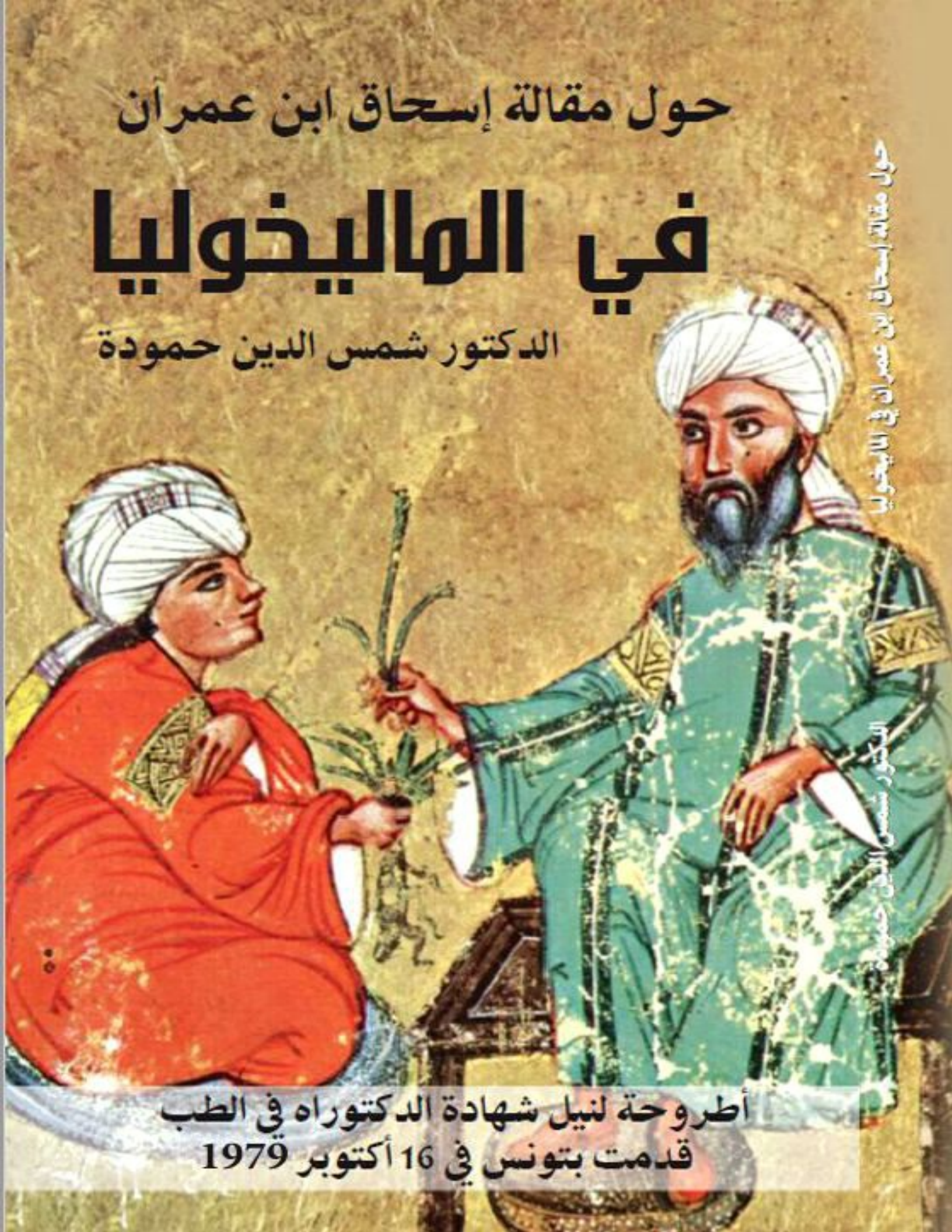

حول مقالة إسحاق ابن عمران في الماليخوليا
الدكتور شمس الدين حمودة

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطب
قدمت بتونس في 16 أكتوبر 1979

الدكتور شمس الدين بن المبروك حمودة

حول

"مقالة في الماليخوليا"

لإسحاق بن عمران

1979

المعالجة الإلكترونية والنشر
بترخيص من المؤلف

KOTOBONLINE
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الجامعة التونسية
كلية الطب بتونس

حول

"مقالة في الماليخوليا"

لإسحاق بن عمران

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطب

للدكتور شمس الدين بن المبروك حمودة
ولد بتونس في 6 أكتوبر 1952

تحت إشراف الأستاذ سليم عمار

وبمساعدة الأساتذة
عبد الكريم بالطيب، محمود يعقوب، ورفيق بوخريص

قدمت بتونس في 16 أكتوبر 1979

مقدمة

الحمد لله الذي يسَّر لي طباعة هذه الأطروحة، بعد 39 سنة من تاريخ مناقشتها الرسمية في كلية الطب بتونس.

ذكريات عديدة، ومسيرة حياة فيها محطات متنوعة، وتجربة في الطب النفسي لأكثر من أربعين سنة.

خلاصتها:

1- لقد ساهمت هذه الأطروحة في بناء ذاتي وفي نجاحي في حياتي المهنية، ويعود الفضل لله أولا ثم للأستاذ سليم عمار رحمه الله.

2- ما زالت نسبة كبيرة من أقوال إسحاق بن عمران وكتاباته ومنهجيته، مرجعا أخلاقيا للطبيب النفسي التونسي، النزيه والمتواضع، الساعي إلى المعرفة، المتفتح على معطيات عصره، وعلى أقوال السابقين.

3- ما زالت أبواب البحث العلمي مفتوحة بخصوص العديد من النباتات والعقاقير والأشكال الصيدلية التي اجتهد ابن عمران في وصف تفاصيلها.

4- عشرون سنة بعد وفاته، يبقى سليم عمار رمزا، للطبيب التونسي، المتجذر والمتأصل، ومثالا يحتذى.

نعم حرصت على فتح باب الحوار من جديد حول مقالة إسحاق ابن عمران في الماليخوليا، لاعتقادي أنها لا زالت حاملة لاحتمالات تستحق البحث والتمحيص.

ليس من الصدفة أن تتم هذه الطبعة بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة معلِّمي، الأستاذ سليم عمار، هذا الرجل الذي كان بمثابة الأب الروحي لأوَّل مدرسة في الطب النفسي التونسي.

أهدي نص هذا الكتاب

إلى

كافة زملائي الأطباء المباشرين لهذه المهنة الإنسانية المقدسة،
والذين هم في أشدَّ الحاجة لدراسة تاريخ بلادهم،
والتصالح مع جذورهم
والتعرف على الأعلام التاريخية لصناعتهم وفنَّهم.

كما أهدي هذا العمل

إلى
أرواح والدي وجدَّتي وعمِّي فرج وكل أقاربي

إلى
أمِّي الحنون وكل اخوتي زكية وجمال الدين وليلى ونجيب وعز الدين وشهرزاد ومنية وسنا

إلى
زوجتي الودود وولدي أحمد وسائر أبنائي وبناتي

إلى
كل أصحابي وأحبابي

إلى
كلَّ مسلمٍ معتزٍّ بدينه محب لوطنه معتصم بحضارته.

لعلَّهم يجدون هنا عربون
حبي وتقديري وإخلاصي

و أهدي هذا العمل

إلى

معلمي والمشرف على أطروحتي
الأستاذ سليم عمار
أستاذ الطب النفسي وعلم النفس الطبي بكلية الطب بتونس،
رئيس مصلحة استشفائية جامعية.

الذي شرفني بدراسة هذا المخطوط بعد أن استورده بنفسه
من المكتبة العمومية الألمانية بمونيخ.

والذي لم ينفك يستقبلني بحرارة وحفاوة.

والذي سهر على تكويني وأحاطني بتوجيهه
وقدم لي النصائح المثالية بصبر وثقة.

لعلّه يجد في هذا العمل اعترافا بفضله
وتقديرا لعلمه ونشاطه المتدفق
ومجهوداته الجبارة

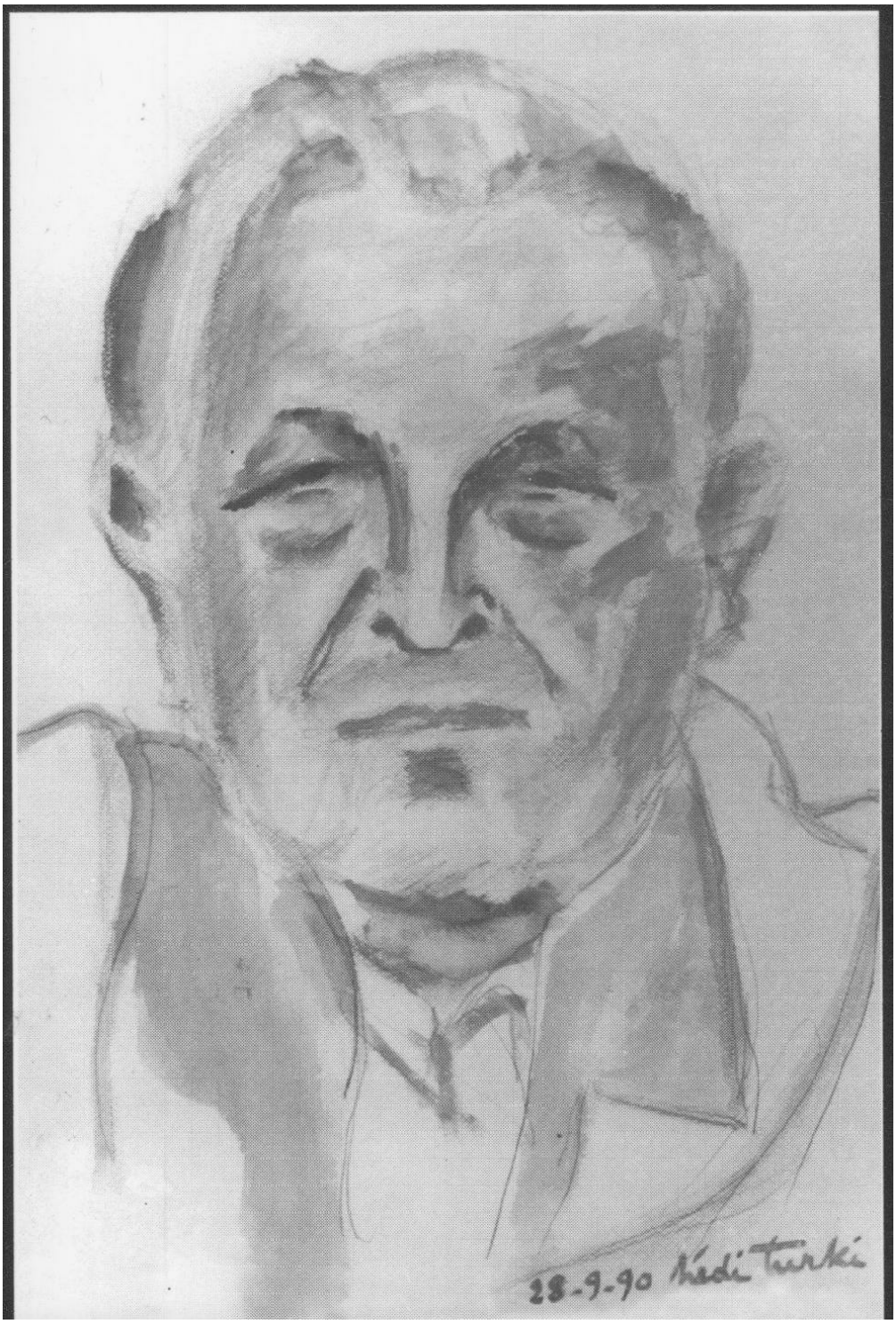
28-9-90 Nedi Turki

تحية التقدير والإخلاص
إلى
الأستاذ عبد الكريم بالطيب
أستاذ الطب السريري، صاحب المعرفة الواسعة بأمراض الجهاز العصبي وجراحة الأعصاب، والمتعلق بأصالتنا الحضارية مع تفتحه على أحدث التقنيات العصرية، بفضل إتقانه لعدّة لغات أجنبية حية
مقدما لنا مثالا يحتذى به.
إلى
الأستاذ البشير محمود يعقوب
عميد كلية الصيدلة وجراحة الأسنان بالمنستير
أستاذ الطب الشرعي وطب الشغل بكلية الطب بتونس.
صاحب الطريقة المثالية في التدريس والتحليل
نشكره لما شرفنا به من قبول عضوية التحكيم في هذه الأطروحة.
إلى
الأستاذ رفيق بوخريص
مع شكرنا الجزيل لحسن استقباله وحفاوته البالغة والنصائح الثمينة التي قدمها لنا وللشرف الذي خصنا به حين قبل أن يكون
عضوا في لجنة التحكيم.

تحية وتقدير

الى
المساعدين الاستشفائيين الجامعيين الدكاترة:
سامية عطية
سعيدة الدوكي
محمد غربال
فخر الدين الحفاني
تقديرا لهم واعترافا بجميلهم وشكرا لما تعلمته منهم.

الى
الأستاذ عبد الحفيظ منصور
أستاذ العربية بكلية الشريعة وأصول الدين بتونس
الذي يرجع له الفضل بمعية الأستاذ سليم عمار
في تحقيق المخطوط
رغم الصعوبات العديدة
والذي مكننا من نسخة لهذا المخطوط
مكتوبة بالآلة الراقنة.

قسم ابقراط

بسم الله الرحمان الرحيم

أمام أساتذة هذه الكلية وبحضور زملائي الكرام وحسب العادة الأبقراطية.

فإني أقسم بالله العلي العظيم،

1- أن أكون مخلصا في عملي نظيفا في شرفي حتى أقوم بواجبي في مهنتي.

2- أن أعالج مجانا الفقراء والمساكين والمعوزين وذوي الحاجة وألّا أتقاضى أجرا غير متناسب مع ما قدمته يداي من عمل.

3- ألّا تنظر عيناي إلى ما لا يهمها في البيوت التي تدخلها.

4- أن يكتم لساني الأسرار التي تُعهَدُ إليّ وألّا أساهم في تدهور الأخلاق والجريمة وألّا أشجِّع على ذلك.

5- أن أكون معترفا بجميل أساتذتي فأعلِّم أبناءهم كما تعلمت منهم.

6- أن أكون شاكرا الله على منَّته ونعمه، أمضي أيامي وليالي في خدمة عباده فأخفِّف من آلامهم وأعالج أمراضهم وأواسي قلوبهم.

7- أسألك اللهم الرضا إذا التزمت بهاته البنود والعفو والمغفرة عند كل تقصير.

الدكتور شمس الدين حمودة يؤدي قسم الطبيب
يوم 16 أكتوبر 1979 بكلية الطب بتونس

القسم المهني للطبيب المسلم[1]

الحمد لله المعلم الفرد، مالك السماوات والأرض، العلي ذي الجلال، الحي القيوم ولا نعبد إلا إياه.

اللهم يا حكيم هب لنا من لدنك رحمة كي نكون صادقين ومتواضعين وألهمنا

الحكمة لمساعدة الناس جميعا وإسداء النصح لهم لما فيه الخير والصلاح.

وهيئ لنا من أمرنا رشادا لندرك أن مهنتنا هي مهنة مقدسة، تتناول أنفَسَ عطاياك من حياة وروح وأن نكون جديرين بهذه المنزلة الرفيعة المعززة بالكرامة والتقوى وساعدنا لنكرِّس حياتنا في خدمة الإنسانية دون تمييز أو تفرقة، بصبر وتسامح، بفضيلة ووقار، بمعرفة ويقظة، بحب لك وحنو لك وحنو على عبادك.

نقسم على هذا باسمك اللّهم ونتبع هداك كما أنزلته على نبيك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم.

" مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا "

حول مقالة إسحاق بن عمران
"في الماليخوليا"

هيكل الدراسة

I- المقدمة: تاريخ الطب.
أهمية الدراسات الطبية التاريخية.
II- الحياة اسحاق بن عمران.
III- التاريخ مرض الماليخوليا.
IV- تحليل المقالة(المخطوط) .
الفصل الأول: تقديم المخطوط.
الفصل الثاني: تحليل المقالة الأولى.
الفصل الثالث: تحليل المقالة الثانية.
الفصل الرابع: دراسة تحليلية عامة.
الفصل الخامس: دراسة في الطب النفسي المقارن .
V- الخاتمة.
VI - الملاحق

I – المقدمة: تاريخ الطب

أهمية الدراسات الطبية التاريخية

I-1. أهمية دراسة تاريخ الطب:

يعتبر تاريخ الطب شعبة مختصة من علم التاريخ العام للإنسانية وهاته الشعبة لها الفضل في التعريف بثلاث عناصر:

1- بحياة الأطباء الذين عرفتهم الانسانية عبر القرون والأجيال المتتالية.
2- بتطور المواقف الطبية تجاه مرض واحد وهو ما نسميه اليوم بعلم تاريخ النظريات الطبية.
3- بتطور الأمراض في حضارات وبيئات اجتماعية مختلفة أو في نفس الشُّعُوب وفي نفس الأمة ولكن في عصور تاريخية مختلفة.

أما تاريخ الطب النفسي فهو يهتم أساسا بتاريخ الأطباء النفسيين الذين عالجوا الأمراض النفسية، وبتاريخ الأفكار والنظريات التابعة للطب النفسي وتفاعلها مع النظريات العامة في علم النفس والفلسفة وعلم الاجتماع والتطور الطبي.

ومن هذا المنظار فإن تاريخ الطب بصفة عامة، وتاريخ الطب النفسي بصفة خاصة، يهم

في نفس الوقت الطبيب والمؤرخ والأديب وكل متطلّع إلى المزيد من المعرفة راغبا في الاستفادة من تجارب العلماء السابقين الذين وضعوا المعالم في طريق البحث العلمي والمعرفة.

هذا ويعتبر تاريخ الطب معجما جامعا للعلوم الطبية، لتفتُّحه على الظروف الإنسانية ويسعى إلى إعادة ترتيبها، الشيء الذي لفت انتباه القدامى إذ قالوا "إن التاريخ بالنسبة للأمة هو بمثابة الذاكرة بالنسبة للبشر".

فبفقدان الذاكرة يفقد الإنسان كلّ مقوّمات الانسانية ويصبح حيوانا تائها في مجموعات بشريّة، لا يستطيع عقد أيِّ علاقة كلامية أو ودية.

كما يصاب بالعجز والخوف من المجهول، فتراه تائها منعزلا معتوها ...

ونتيجة لفقدان الذاكرة تصبح الأمةُ بلا تاريخ، أَمَّةً لا شخصيّة لها، تائهة في خضم الحضارات لا تستطيع التقدم ولا التأخر لأنها فقدت الصلة بين ماضيها ومستقبلها.

ولهذا سعت كل أمة عَرَفَتَ عبر التاريخ حضارة، إلى الاهتمام بتدريس تاريخها وتاريخ رجالاتها وفي هذا المعنى قال الأستاذ الكبير مارسال سندراي "Marcel SENDRAIL"[3] الأستاذ في الباتولوجيا التجريبية بكلية الطب بتولوز (فرنسا)،

"إن المجتمعات لكي تكتسب حق الوجود يلزمها مثل الأفراد أن تفكر وتتذكر" ويضيف قائلا "إن المجتمع الذي يُنكِر عاداته وتقاليده ويقطع سلسلة التاريخ التي تربطه بالماضي، قد جفف منبع تطلُّعه الحياتي وأبى أن يفهم نفسه واستسلم لقوى التقهقر والفناء".

"وكذلك فإنّ العلم الذي ينسى، أو يتناسى من أين أتى وسرعان ما يفقد مقصوده فلا يعرف مصيره".

إنّ هاته النظرة إلى التاريخ لكفيلة بأن تلفت انتباه كلّ أولئك الذين سعوا إلى قطع الصلة بين الماضي والحاضر والتحرر من كل تقاليدهم لما بهرتهم حضارة الغرب وتحثُّهم على التفكير.

ولكل أولئك نقول ما قاله الجراح الفرنسي الكبير الكسيس كاريل (Alexis CAREL) : "نحن حاصلة التاريخ وكل انسان مرتبط بما سبقه ومن يلحقه ".[4]

يا لها من حقيقة جديرة بالتفكر نلقيها اليوم تحت بعض الأضواء، لشباب انطلق بدون تفكير ولا رؤية في تبعية عمياء بعد أن ألقى بكل مقومات الأصالة والشخصية متبعا ما أبصره من الحضارات ومنفصلا عن كل ما سبقه من علم ومعرفة ويدّعي بعد ذلك أنه أخذ بأسباب المعرفة. لأن أخشى ما نخشاه كما يقول ليبنيتز(Gottfried Wilhelm Leibniz)[5] "هو أنَّ احتقارنا للذين سبقونا قد يؤدي بنا الى ارتكاب نفس الأخطاء".

لهذا كان لويس باستور[6] كذلك يؤكد "هنالك من يتصوّر أن العلم يقتصر على ما نشاهده

اليوم بينما هو بمثابة مشروع جديد منبثق من مرحلة سابقة، ذلك لأنّ العلم متكوّن من حلقات متسلسلة تربط بين الحاضر والماضي إذا افتقدت حلقة واحدة انقطعت كل السلسلة. وكل خطوة الى الأمام تقتات وتتغذى من تجارب الماضي".

ويقول أوقست كونت (Auguste Conte)[7] "لا نستطيع أن نعرف حقا علما من العلوم إلا اذا تمكنا من معرفة تاريخه" ويضيف قائلا " إذا بلغ بنا الأمر الى إهمال ماضي علم فسيكلفنا ذلك إعادة حفظه كل يوم"

إنّ تاريخ العلوم له الفضل في أن يقدم لنا ماضيا حافلا بالتجارب والحكم ملآنا بالخطإ والصواب، تمكننا دراساته من معرفة الأسباب التي ساهمت في تقدم العلوم أو على العكس تسبّبت في تخلّفها.

وقال أرفين أكرنخت[8] أستاذ تاريخ الطب بجامعة زوريخ بألمانيا " تاريخ الطب هو دراسة تحليلية للماضي الطبي تساعدنا على فهم وحل مشاكلنا الراهنة".

فعلينا أن نشترط على كل طبيب دراسة التطور التاريخي لمهنته لأن الضمير المهني لا يمكن أن يُكْتَسَبَ إلّا بالمثال والقدوة التي تقدمها حياة العلماء المختصين، الذين ازدانت بهم الصناعة الطبية، وتحقيقا لهذا المعنى رأينا الجامعات العلمية تهتم أكثر فأكثر بتدريس تاريخ العلوم وحتى في تونس فقد افتتح الأستاذ سليم عمار الأستاذ المبرّز في طب النفس وعلم النفس المرضي وعلم النفس الطبي تدريس تاريخ الطب.

وإننا نأمل أن تصبح دراسة تاريخ العلوم اختصاصا مستقلا يمر به كل طلبة كلية الطب قبل الشروع في مباشرة مهنتهم ففي ذلك عبرة وموعظة واستفادة كبيرة تمكننا من تلافي أخطاء ومن اجتياز مسافات طويلة.

هذا ويحتوي تاريخ الطب على دراسة:
أ- تاريخ النظريات الطبية.
ب- تاريخ معرفة الأمراض ومظاهرها.
ج- تاريخ وتراجم حياة الأطباء القدامى.
د- تأثير تاريخ الأمراض على مجرى التاريخ العام للإنسانية.

I-1.أ. تاريخ النظريات:
تاريخ النظريات ودراسة الاتجاهات الفكرية تمككنا من التعرف إلى العلاقة المتينة بين تفكير الأطباء القدامى وتفكير العلماء المعاصرين الى درجة أن العالم ليتّرى (Émile Maximilien Paul Littré)[9] المختص في التاريخ يقول "ليس هنالك علم من العلوم الطبية العصرية إلا ووجدت نواته في

الطب القديم".

I-1.ب. تاريخ معرفة الأمراض ومظاهرها
تعتني دراسة تاريخ الطب بوصف مظاهر الأمراض
وتشخيصها كما تعتني بدراسة الأساليب التي كانت مستعملة لمقاومتها.

هذا يمكِّننا من القيام بدراسات تاريخية تجريبية صالحة للبحث عن الأسباب التي ساهمت في تطوير الفكر الطبي ووجهت خطاه.

I-1.ج. تاريخ وتراجم حياة الأطباء القدامى:
إنّ دراسة حياة العلماء الكبار الذين سجَّل التاريخ أسماءهم الخالدة لما قدموه من أبحاث قيمة في الطب وفائدة للبشرية لهي أجمل مثالا نستنبط منه كذلك طريقة البحث المثمر ونحتذي بهم و نتّخذهم مثالا صالحا وقدوة حسنةً.

I-1.د. تأثير الأمراض على مجرى التاريخ:
وأخيرا فإن دراسة تاريخ الطب تمكننا من تحليل العوامل الصحية التي أثرت على تاريخ الشعوب ومن استنباط المظاهر المرضية من مواقف بعض الزعماء والأدباء والفنانين التي أثرت على مجرى التاريخ.

I-2. تاريخ الطب عند العرب:

إنَّ تاريخ الطب عند العرب والمسلمين هو من الحلقات الهامة التي وجهَت التفكير الطبي الانساني مدة عشرات القرون، والتي جمعت بين ماضي الرومان واليونان والصينيين والهنود كي تساهم بصفة فعالة في تطوير العلوم الطبية عند العرب.
وهاته الحلقة كثيرا ما كانت تُحتَقر من طرف العديد من المؤرخين الغربيين إما عن جهل أو عن حقد حتى أن بعضهم مثل قستنطينوس الافريقي[10] عمد إلى ترجمة بعض الكتب العربية ونسبها الى نفسه.
والمعروف أن العديد من هاته الدراسات والكتابات والمخطوطات لازال مجهولا محتاجا للبحث، وإننا تحقيقا لهذا الهدف ومساهمة منا في أحياء تراثنا الثقافي اخترنا لدراستنا أحد هاته المخطوطات الجلية التي لم يقدَّم فيها تحليل شافٍ إلى يومنا هذا.
إنه مخطوط "مقالة في الماليخوليا" لإسحاق بن عمران طبيب القيروان في أواخر القرن التاسع مسيحي، الموافق لأواخر القرن الثالث الهجري وقد سبق أن ترجمه للاتينية قستنطينوس الافريقي الذي لم يتردد في نسبته الى نفسه كما سبق أن ذكرناه، وليست دراستنا تاريخية تعليمية وتحليلية فحسب ولكنها ستكون مع ذلك دراسة في الطب النفسي المقارن.
سنقوم إذًا بمقارنة مرض واحد : الماليخوليا في محيطين ثقافيين مختلفين وفي عصور مختلفة في عصر ابن عمران (اواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر المسيحي) وفي عصرنا

الحالي (القرن العشرين).

هذا التحليل المقارني يدخل في إطار الحقل الواسع لما نسميه الطب النفسي الثقافي[11] والطب النفسي عبر الثقافات[12] المختلفة.

ويرجع الفضل الى الأستاذ سليم عمار الذي استورد صورة شمسية من النسخة الوحيدة في العالم التي بقيت لهذا المخطوط من مكتبة مونيخ بألمانيا ثم مكننا من شرف تقديم هذه الأطروحة.
ومجمل هذه الأطروحة وخلاصتها قد كان موضوع مقالة أُلقيت في المؤتمر الثاني للعلوم العصبية الَّذي انعقد بجربة في أفريل 1978 وكان لنا شرف مشاركة أستاذنا الدكتور سليم عمار بهاته المناسبة في هذا البحث.

كما صدرت هاته المقالة في مجلة الإعلام في الطب النفسي[13]، الفرنسية في عددها الثالث لشهر مارس 1979.
هذا وإن موضوع اطروحتنا يرنو إلى التعمق في هذا المقال وتحليله تحليلا دقيقا، وقد حاولنا بأقصى جهدنا بلوغ هذه الغاية وبالله التوفيق.

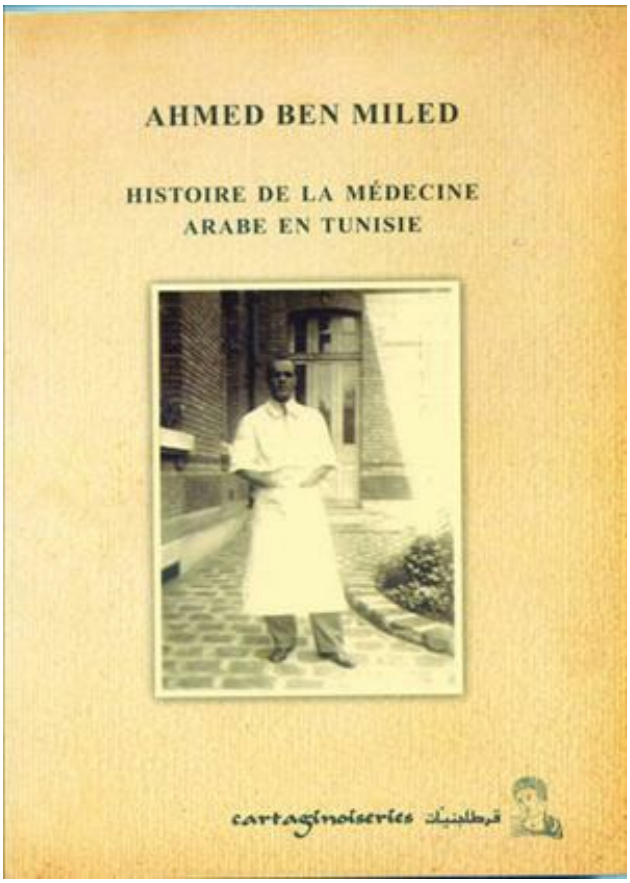

II – حياة اسحاق بن عمران.

وإنتاجه العلمي (آخر القرن التاسع وأول القرن العاشر/م
الموافق للنصف الثاني من القرن الثالث الهجري)

Dr Sleïm AMMAR

EN SOUVENIR
DE LA
MEDECINE ARABE

QUELQUES UNS DE SES GRANDS NOMS

ولد إسحاق بن عمران في سَمَرَّاء بالعراق، وكان مسلما في عقيدته، ثم انتقل الى بغداد حيث تتلمذ عن بختيشو بن جبريل[14] الذي كان طبيب الخليفة العباسي يومئذ، وكان ابن عمران كثير التردد على المجالس الطبية والعلمية التي تنتظم في دار الحكمة ببغداد.

التحق بالقيروان حوالي سنة 887 م الموافق لسنة 274 هـ استجابة لدعوة الأمير الأغلبي ابراهيم الثاني.

ولما كان متقدِّما في السنِّ ويرغب في العودة إلى بلده قبل وفاته، فقد اشترط ابن عمران أن تكون له حرية العودة الى بغداد متى تستقر عزيمته على ذلك.

ولكن من سوء حظه أن توفي الأمير الأغلبي ابراهيم الثاني واستولى على الحكم الطاغية زياد الله الثالث سنة 903 م الموافق لسنة 290 هـ، الذي أمر بقتله كما سيذكر لاحقا.

واعتنى ابن عمران بتدريس الطب في بيت الحكمة بالقيروان وكلَّفه الأمير زياد الله بمراقبة أطعمته ونُصْحِه بما يصلح أكله ونهيه عمَّا يضره...

وكثيرا ما كانت الأخلاق حينذاك متصلبة وسلطان الملوك في غاية القسوة الأمر الذي جعل ابن عمران، المعتز بنفسه، يلقى صعوبات جمة في الانسجام مع الأوضاع السائدة في عصره.

وعلى كل فَقَدْ استقر ابن عمران بالقيروان وقال المؤرخ ابن أبي أُصيبِعة، صاحب كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء في شأنه "فبه دخل الطب والفلسفة بلاد المغرب".

وكسائر الأطباء الكبار في ذلك العصر كان ابن عمران عالما نابغة وموسوعة بحارة. فأصبح الطبيب الخاص لزياد الله الثالث وكان مكلفا بمراقبة مآكل الملك.

وذات يوم استجلب الملك طبيبا شابا من اسبانيا أصله يهودي للقيام بنفس المهمة.

ولما كان هذا الأخير عالما بنزوات الملك وميوله وأهوائه فقد اكتسب ثقته بسرعة وعقد العزم على المكيدة لشريكه اسحاق ابن عمران الطبيب العربي المسلم. وكلما نهى ابن عمران عن طعام إلا وأمر به الطبيب اليهودي.

ولكن أمانة ابن عمران وقدرته وصراحته وثقته في معلوماته أثارت ضده عداوة هذا الملك القاسي.

وذات يوم نهى ابن عمران الأمير عن تناول لبن رائب مخافة أن يؤلمه وسمح له اليهودي بذلك فأصيب الأمير بنوبة من آلام وضيق التنفس...

وسرعان ما ذهب الرّسُل لإيقاظ ابن عمران الذي كان قد عاد لبيته غاضبا مكسوف البال حيثُ أُهينت كرامته ودِيست فلم يستجب إلّا بعد الحاح الحاشية وتهديدها ووعودها ووعيدها فالتحق ابن عمران بالملك وناوله شيئا من الثلج حتى تقيأ وخرج ما كان في بطنه من لبن رائب عندئذ قال ابن عمران للأمير "لو أن جزءا من هذا اللبن تسرب الى عروقك قبل أن أعالجك لمتت بدون شك".

وشفي الأمير وعوض أن يكون شاكرا للجميل كان كما يقول أبو الطيب المتنبي لئيما:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا.

ولم يغفر لابن عمران "تطاوله فمنع عنه المرتب" الذي كان يتقاضاه حتى لجأ هذا الأخير لفتح عيادة بالقيروان يقتات من مدخولها فأقبل عليه الناس إقبالا باهرا أثار غضب الملك فسجنه، فعاده المرضى في سجنه...

وسخط زياد الله عليه، فأحضره ذات يوم واستزلَّه واستفزَّه بالإهانة والتهكم، فلم يتمالك ابن عمران وأطلق للسانه العنان... حتى أمر زياد الله الثالث بإلحاقه بقائمة ضحاياه وذلك بفتح أوردة يديه.

وترك ابن عمران عدة مؤلفات نذكر منها:
رسالة لسعيد بن نوفل حول الأدوية المفردة المشهورة للتداوي.
رسالة في مجمع ما ذكره أبقراط وجالينوس في الخمر.
مقالة في الاستسقاء.
مقالة في الماليخوليا.
مقالة في مبدأ وإتمام الطب.
مقالة في النزيف.
مقالة في بيوضة القيح وترسب البولة والمني.
مقالة في أسباب القولنج وعلاجه.
مقالة فلسفية "نزهة النفس" أو "لذة الفكر وانشراح الصدر".

وقد كان ابن عمران ذا سمعة طيبة وشهرة واسعة بين الأطباء الذين أتوا من بعده...

فابن البيطار[15] العالم الأندلسي الشهير في علم النباتات قد ذكره 186 مرة في كتابه، مما يثبت مكانته الرفيعة.

ومن كل كتابات ابن عمران لم تصل الينا إلا مقالة في الماليخوليا، التي جعلت ابن جلجل يمتدحها ويعتبر أن لا أحد سبق ابن عمران في تناول هذا الموضوع بوضوح.

ملاحظة:

لقد استلهمنا أهم ما في هذه اللمحة التاريخية حول حياة إسحاق بن عمران من كتاب الأستاذ سليم عمار " في ذاكرة الطب عند العرب (طبعة أصلية بالفرنسية) الدار التونسية للنشر – تونس 1965. « En souvenir de la médecine arabe »

Dr Sleïm AMMAR

EN SOUVENIR DE LA MEDECINE ARABE

QUELQUES-UNS DE SES GRANDS NOMS

III- تاريخ مرض الماليخوليا

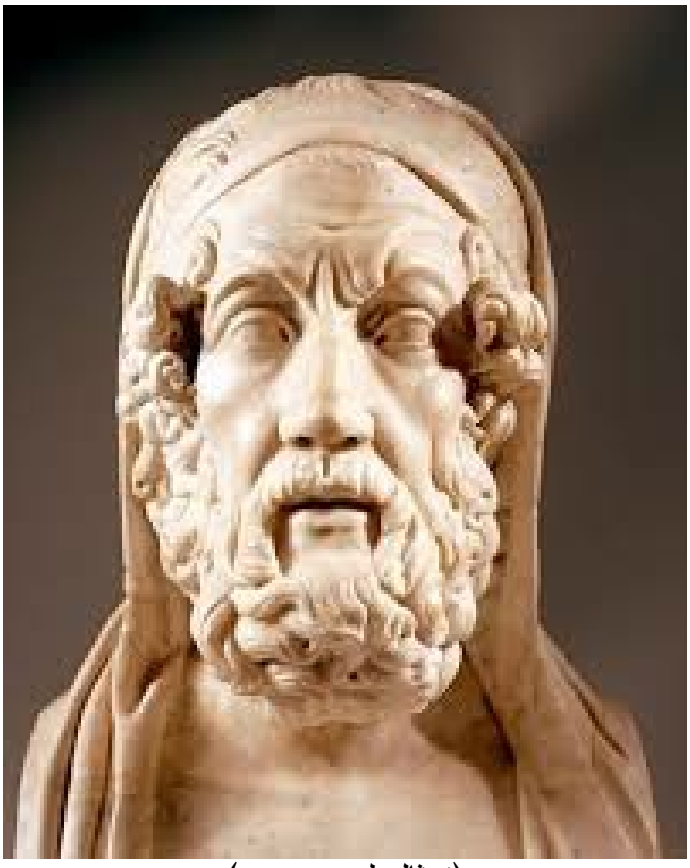

(تمثال لهوميروس)

" موضع سخط الآلهة".
" كان ضالًّا منفردا في سهل أوليون".
" قلبه يمزقه الحزن متشردا بعيدا عن الناس".
من إلياذة هوميروس

منذ قديم الزمان كانت معاني الاكتئاب متجسمة في سلوك البشر ووضعيتهم الوجدانية وكأن هذه الحال مسجلة في الأسس الإحيائية التي يرتكز عليها تكوين الإنسان إذ وجدنا آثاره في مخطوطات الحضارة الفرعونية وفي مخطوطات اليهود القديمة كما وجدنا آثاره في كتابات اليونان والإغريق وإلى يومنا هذا فإنَّ الاكتئاب لا يزال مشكلة اجتماعية وصحية هامة حيث أن الإحصائيات الأمريكية مثلا بينت أن حوالي 15 بالمائة من الأمريكيين الكهول مصابون بداء الاكتئاب.

وبالتالي فإن تاريخ الماليخوليا، وهي صنف من أهم أصناف الاكتئاب وأكثرها شيوعا، يمكننا من دراسة تطور النظريات الفكرية فيما يخص التعرف إلى شتى أنواع الداء وتشخيصه من ناحية، وفيما يخص فنون العلاج من ناحية أخرى.

هذا ونرى عبر التاريخ أن هذا الداء يكتسب تدريجيا تشخيصا مستقلا عن مجموعة كبيرة من الأمراض النفسية جمعت في القديم الفصام والهذيان الزوري والعُصَاب القلقي...

كما أن العلاجات المختلفة تطورت من عصر الى آخر حسب النظريات السببية المختلفة التي يرتكز عليها التحليل المرضي لذلك الداء.

وهذا التطور مر بصفة مجملة بأربعة مراحل متتالية.

المرحلة الأولى: ما قبل اسحاق بن عمران

المرحلة الثانية: من الحضارة الإسلامية (القرن 11م) والقرون الوسطى الى نهاية القرن 17م.

المرحلة الثالثة: من "أسكيرول" (القرن 18م) إلى "طسطفان" (القرن 19م)

المرحلة الرابعة: العصر الحالي.

III-1- المرحلة الأولى: ما قبل اسحاق بن عمران من العلماء القدامى إلى جالينوس

(1) الحضارة المصرية القديمة:

كان الاكتئاب في الحضارة المصرية الأولى يدخل في إطار مجموعة كبرى من الأمراض العقلية ورغم ذلك فإن الانتحار الذي هو لا ينفصل عن مظاهر هذا الداء، كان نادرا وهذا راجع بلا شك الى البيئة الثقافية والاجتماعية التي امتازت بها مصر العتيقة[16].

وكان المصريون يعرفون منذ ذلك الزمان الأسباب الدافعة إلى المرض كالإهانة والهزيمة وفقدان مكانة اجتماعية أو ثروة محبوبة.

فكثيرا ما كانوا يربطون هذه الأسباب بحالات الحصر والاكتئاب.

(2) هوميروس (القرن التاسع قبل المسيح). Homère

في الفصل الرابع من قصيدته المشهورة "الإلياذة" وصف هوميروس داء الاكتئاب في ثلاث أبيات:

" موضع سخط الآلهة".
" كان ضالا منفردا في سهل أوليون".
" قلبه يمزقه الحزن متشردا بعيدا عن الناس".

هذه قصة بلَّوروفون البطل العادل والمقدام الذي لم يرتكب أي ظلم بل على العكس نُفِي من بلاده وملكه من أجل استقامته وطهارة نفسه لأنه رفض إغراء ملكة فاسقة طاغية.

وها – هو ذا، بكل صبر يواجه الصعوبات ويحطم الكمائن ويفتح أرضه ويسترجع زوجته

وها – هو يتحطم في لحظة النصر وكأنه استهلك كل قواه الحياتية.

فالحزن العميق والعزلة والتشرد والابتعاد عن الناس، دون سبب ظاهر، تمثل أعراض أول وصف دقيق لحالة الاكتئاب التي ينسبها هوميروس الى غضب اللآلهة وسخطهم.

وكذلك كان هوميروس أوَّل من ذكر التَّأثير الفعال لدواء سماه "الفارمكون" الذي يستخرج من بعض الأعشاب المصرية فيكون مفعوله تخفيف الآلام والحزن ومعاكسة تأثير المرَّة السوداء.
وهذا الدواء سرعان ما أشفى "بلوروفون" بمجرد ما قدمته له زوجته.
وتمثل هذه القصة أول مثال للعلاج الكيمياوي والنفساني لحالات الحزن والاكتئاب.

(3) أبقراط[17] القرن الخامس قبل المسيح (460-380م).
لقد أعطى أبقراط للماليخوليا في كتاباته التعريف التالي: "عندما يطول الحزن والخوف فذلك داء الماليخوليا".

واستعمل كلمة الماليخوليا لأول مرة بعد أن استنبطها من سببها الأدنى وهو المرة السوداء.
والمرة السوداء هي أحد أخلاط الجسم العادي مثل الدم والبلغم والمرة الصفراء فإذا تراكمت في الجسم وتكاثرت وخرجت من أوعيتها تسببت في عدة أمراض مثل الصرع والجنون (مانيا) والحزن.
قال أبقراط: "والداء الذي نسميه الماليخوليا ما هو إلا أحد المظاهر المرضية للمرة السوداء التي تفسد توازن الأمزجة".

ولعل ملاحظة اسوداد لون ما يخرج من الفم من القيء ومن الأسفل من الفواضل، دفع الأطباء الاغريق للتفكير في وجود هذا الصنف من الأخلاط، ولعل اللون الأسود للطحال مكنهم من ربط صلة سببية بين هذا العضو والمرة السوداء مما جعلهم يظنُّون أن هذا العضو هو المأوى الطبيعي للمرة.
وهكذا فقد كان من الترف الفكري أن توضع،
نظرية الأخلاط الأربعة:
الدم – المرة الصفراء – البلغم– المرة السوداء.
على صلة وثيقة مع:
الصفات الأربعة:
الرطوبة – الحر – اليبوسة – البرودة.
والأصول الطبيعية الأربعة:
الهواء – الماء – الأرض – النار.
والأعمار الأربعة:
الرضاعة – الطفولة – الكهولة – الشيخوخة.
والفصول الأربعة:

الصيف – الخريف – الشتاء – الربيع.
والاتجاهات الأربعة التي تهب منها الرياح الأربعة.

وبالتالي فإن الماليخوليا حسب أبقراط، داء سببه اضطراب المرة السوداء، وهو مرتبط بالأرض والشيخوخة والخريف، وهاته النظرية التي قدمها بوليبPolybe[18] في كتابه "طبيعة الانسان"

وسيقوم الخيال فيما بعد بتصور، المرة السوداء كمادة معتقة ذات تأثير مهول حتى يقول جالينوس في وصفه لها "إنها تعض وتأكل الأرض ويمكنها أن تتعقم فتنتج كويرات".

والمهم هو أن كتابات أبقراط ترجع الأمراض النفسية بكل وضوح الى أسباب جسدية مادية رافضا كل تأويل غيبي وتفسير ما ورائي.

فالماليخوليا والهلوسة والمانيا والصرع أمراض سببها فقدان توازن الأخلاط.

ولما كان الدماغ هو مركز الحياة النفسية فإن الضرر في هاته الأمراض لاحق دون شك بجوهر الدماغ الذي يلحقه الفساد من قبل الحرارة أو البرودة أو تعطل الاستفراغ أو كثرة الأكل وقلة العمل.

فإذا كانت كل الأسباب مادية كان العلاج من نفس صنف السبب بالاستفراغ أو الاستحمام والحمية مع الاستعانة ببعض الأدوية.

وهذا المثال من علاج أبقراط لهذا الداء.

"كان المريض يشعر وكأن شوكة توجد في أمعائه والقلق يلاحقه فتراه يتجنب أبناء جنسه لينزوي في الظلمات... الخوف يلاحقه... وكل لمسة تؤلمه... قد يرى أحيانا مناظر مخيفة ويستيقظ، إن نام على أحلام مزعجة... وهذا الداء يكثر عادة في الخريف...

"لهذا المريض سوف نسقي الخربق ونكمد الرأس ونعطيه مسهلا وبعد ذلك نسقيه حليب الحمارة".

"وأما الطعام فعلى هذا المريض أن يقلل منه وننصحه بالأطعمة الخفيفة المريحة مع تجنب كثرة الملح وكثرة الادهان... لا يشرب الخمر ولا يستحم في الماء الساخن... لا يلعب الرياضة ولا يتنزه..." بل يكتفي بالخمر المخفف بالماء أو بالماء الصافي فحسب... بهاته الأسباب سوف يشفى مع الوقت".

وكان أبقراط يلجأ الى الخربق[19] لأنه يتسبب في اسهال المرة السوداء كما كان ينصح باستعمال تفاح البيروج[20] التي توضع تحت المسندة.

(4) اسقلبياذ البيتني (القرن الأول ق م)

في أواخر القرن الثاني قبل المسيح وبداية القرن الأول يأتي اسقلبيونس ليواجه نظريات أبقراط ويصنف الأمراض إلى أمراض مزمنة وأمراض حادة، وأدخل كلمة الاختبال الذهني وطريقة التوعية والتشجيع في العلاج النفساني.

(5) سلسوس اولوس كورنيليوس.
(آواخرالقرن الأول بعد المسيح)CELSE

في فجر عصر المسيح قام العالم الروماني سلسوس، الجامع للعلوم الطبية وفنون العلاج بإعادة لفت النظر الى أهمية العلاجات العتيقة، كالترويح عن المصابين بالماليخوليا بالأغاني اللطيفة والأنغام المريحة والألعاب والقصص.

قال سلسوس "يجب إبعاد كل شيء مخيف عن المريض ثم نحاول الترويح عنه بالقصص والألعاب التي كانت تروق له في حالة صحته... ويجب أن نثني على أعماله ومنتوجاته السابقة ونذكره دوما بالدور الذي لعبته وبالقيمة الفنية التي تكتسبها"، "وينبغي أن نقاوم تخيلاته الحزينة بتوعية لطيفة".

وكان سلسوس يلجأ أحيانا الى استعمال طرق أكثر شدة وصلابة خاصة للمصابين الذين هم في حالة هيجان مثل السلاسل والصدمة الناجمة عن انزعاج فجئي "إن هذا الزلزال النفساني يملك أن ينتزع المصاب من حالته الأولى" فهاته الرجة العنيفة تهدف لأن ترجع المريض إلى واقعه وتنتشله من عالم الخيال فيستيقظ ويرجع إلى نفسه وإلى غيره.

"وإن هاته الطرق مخصصة في الواقع للمصابين الذين هم في حالة نشوة وهيجان وهوس شديد وذلك بمقتضى معالجة الضد بالضد".

أما المصابون بالحزن فهم أهل لعناية ألطف وأجود" يقول سلسوس "لما يصبح المزاج كئيبا يجب دلك الرأس مرتين أو ثلاثة بالأدهان المفتِّرة وبالتمسيد مدة طويلة وننصح بالاستحمام بالماء والزيت ولا يمكن ترك هؤلاء المرضى منفردين منعزلين أو صحبة أفراد يجهلونهم... أو يحتقرونهم أو لا يتفاعلون معهم. كما ننصحهم بتبديل المناخ والبعد عن مكان الإصابة... وبعد التعافي ننصحهم بالسفر كل سنة..."

وهكذا يتبين أن العلاج النفساني الفردي والعلاج الاجتماعي قد عبر عنهما سلسوس بكل دقة ووضوح بل وأشار لأول مرة الى فائدة السفر في علاج هذا المرض.

وأما لعلاج الأرق فان سلسوس ينصح بما يلي:

"إن صوت الماء المنحدر من أنبوب – موجود حذو فراش المصاب، والتنزه في عربة، فترة بعد تناول فطور العشاء وخاصة تأرجح الفِراش المعلق الهادي كلها طرق صالحة لجلب النوم" وإذا اشتد الأرق فإن سلسوس يستعمل المحاجم والخشخاش[21] في آخر الأمر نظرا لخطورته أو يلجأ الى تفاح البيروج ليوضع تحت المسندة.

(6) سيناك (القرن الأول مسيحي) SENEQUE.:

في رسائل سيناك وتآليفه المتعلقة بالأخلاق نجد الإشارة إلى التسلية وإلى الكشف النفساني الحقيقي وحتى إلى العلاج النفساني بطريقة المساندة.

فسيناك يخفف عن مرضاه مآسيهم وينصحهم بالاستراحة والنوم الكافي.

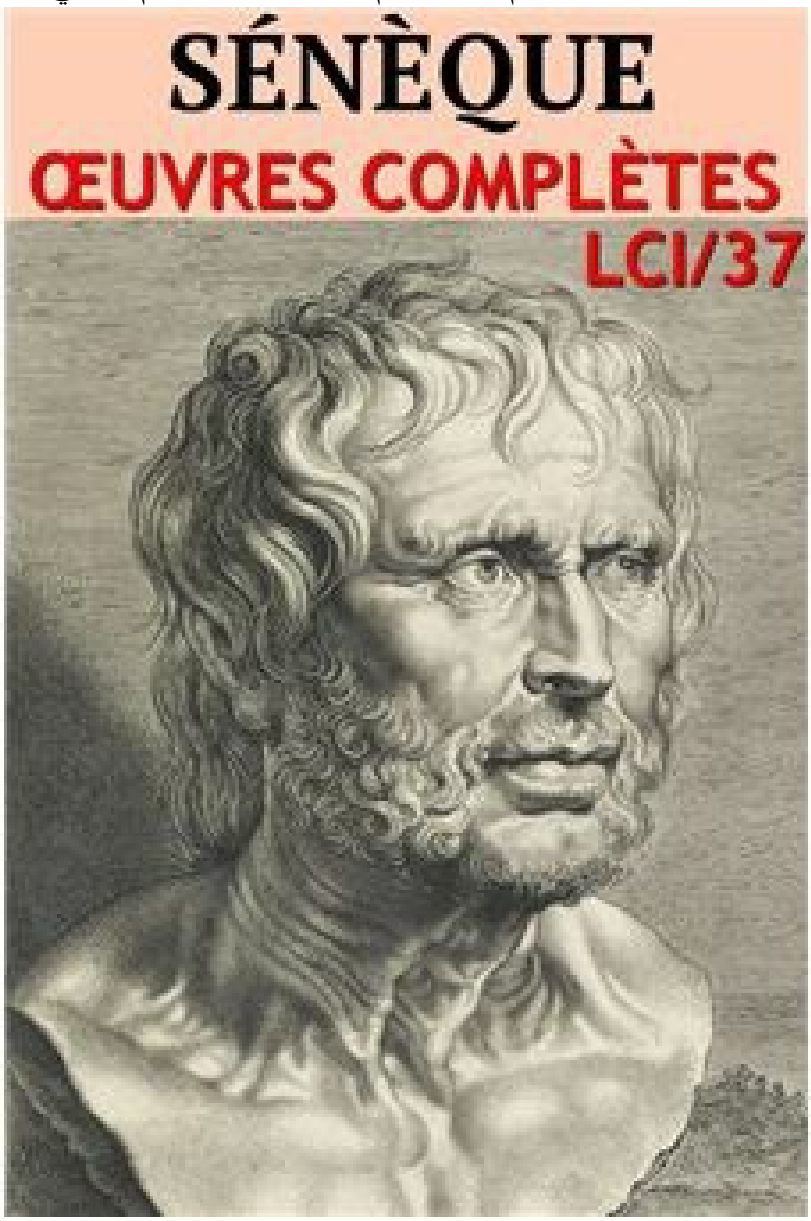

(7) صورانوس الأفاسي (93-138م):

SORANUS D'EPHESE

في كتابه المتعلق بالأمراض الحادة والمزمنة يصنف هذا العالم اليوناني الشهير الماليخوليا في إطار الأمراض المزمنة، ولكنه يستنكر نظرية الأخلاط الأربعة ويتجنب العقاقير العنيفة كالأفسنتين[22] والأفيون[23] والألوة[24] والخمر.

إنه يعتبر الماليخوليا مرضا خطيرا يصيب البلعوم بينما المانيا (الهوس) مرض يصيب الدماغ لذلك فإنه ينصح بوضع كمادات[25] على فم المعدة وبين الكتفين.

كما ينصح بالمسرح والتمثيليات الفكاهية وتشجيع المصاب على كتابة مقالات أو قراءة الكتب وتوجيهه نحو الهوايات التي كان يميل إليها في حالة صحته كما يوصي بتطهير الجو العائلي.

(8) أرِّيتي الكبادوسي:

(نهاية القرن الأول م)Arreté de Cappedoce

وفي نهاية القرن الأول مسيحي جاء هذا العالم ليعترف "أنه من المستحيل معالجة كل الأمراض، فالطبيب الذي يقدر على ذلك يصبح أقدر من الآلهة، ولكنه إذا لم يستطع استئصال المرض فإنه يملك على الأقل إمكانية التخفيف من حدته ولو لبعض الوقت"[26] وكان يعالج الماليخوليا بالمسهل والحمية والأدوية المفرغة للصفراء والاستحمام وكان يفصل بين الماليخوليا والاكتئاب الإرتكاسي، لخيبة غرامية مثلا فهو لأول مرة يفرق بين الماليخوليا مرضا داخليا متأصلا في الجسم والحالات الاكتئابية الارتكاسية لصدمات نفسية مختلفة كما لاحظ أنَّ الماليخوليا تبتدئ تدريجيا ويمكنها أن تسبق أو أن تتبع المانيا (الهوس).

(9) روفس الأفاسي:

(بداية القرن الثاني مسيحي)Refus d'Ephèse

هذا الطبيب الذي ذكره ابن عمران، وصف بدقة الصنف الشراسفي للماليخوليا كما ذكر سبب الداء وعلاجه وأكد على أهمية استفراغ المني في علاج هذا المرض يقول "إن امتناع المني مضر بالدماغ لأن المني يتسبب في تسمم الجسم كله وأمراضه".

ولعل هذا ناتج عن الأسى المستمر المتولد عن العزلة العاطفية التي يوجد فيها كل انسان منقطع لمدة طويلة من كل علاقة جنسية.

(10) جالينوس سنة (131-211م) Galien

لقد قدم جالينوس وصفا وتعريفا للماليخوليا، بقيا مرجعا مدة قرون طوال، وقد ركز دراسته على نظرية الأخلاط الأربعة لأبقراط.

يعتبر جالينوس الماليخوليا داءً سببه المرة السوداء التي تتسبب في أحد أصناف الماليخوليا المذكورة أسفله حسب مكان تجمعها.

أ) إما في كل الجسم وتتصاعد عن طريق الدم الى الدماغ

ب) وإما في فم المعدة ويتصاعد منها بخار يتسبب في المرَض وهذا الصنف هو الصنف الشراسفي. ويفسر جالينوس الصلة بين الصنف الشراسفي والماليخوليا بالصلة الحيوية والتشريحية التي تربط بين المعدة والدماغ.

ج) وإما في نفس خاصة الدماغ.

والعلاج الجالينوسي مرتبط بالصنف المرضي وبحداثة الإصابة كما يركز على ضرورة الاعتناء بالحمية وتجنب الأطعمة المولدة للمرة السوداء.

(11) الفلاسفة.

إن كل الأطباء الذين ذكرناهم، وحتى الذين لحقوا بهم ولم نتمكن من ذكرهم، يعالجون الماليخوليا وكأنه مرض جسدي وكلما كان هنالك شكٌّ في جسدية المرض، أو أنهم لا يلاحظون إصابة جسدية فإنهم يوجهون مرضاهم إلى معابد اسكلبيوس[27]، أو إلى الفلاسفة ويضيفون لهم الحمية والدواء ونجد في رسائل ودراسات سيناك[28] (القرن الأول مسيحي) عيادات نفسية وعلاجا نفسانيا إذ أنه يخفف عن مرضى القلق وينصحهم بالانشراح والنوم اللازم...

III-2- المرحلة الثانية:
من الحضارة الإسلامية والقرون الوسطى
إلى غاية القرن السابع عشر.

1- تقديم:

تمتد هذه المرحلة من بداية القرن الثالث مسيحي إلى نهاية القرن الثامن عشر، ويُجْمع العديد من المؤرخين على أنه لا يوجد في هاته الفترة شيءً يستحق الذكر يقول "راوول بنون"[29] "من جالينوس الى أسكيرول لا نجد شيئا من الناحية التاريخية يستحق الذكر" ويقول ب. مازات B. Mazet ، "إلى موفى القرن الثامن عشر ستنتهي مرحلة طويلة ترث الأوصاف والتحاليل المرضية التي جاء بها جالينوس."

ويقول جان ستاروبنسكي[30] الأستاذ في علم التاريخ بجامعة جينيف "وفي هذه الفترة يقترحون الآلاف من العلاجات المستمدة من أسرار الأوائل ومن تاريخ بعيد مصدره إما عربي

عتيق وإما شرقي... وهذا أمر مشكوك فيه كما سنبينه..."

وكل هؤلاء المؤرخين يمرون مر الكرام على مرحلة من أهم المراحل العلمية التي تعتبر مصدر العلوم الحالية في الحضارة العربية[31] ألا وهي مرحلة الحضارة العربية الإسلمية.

وإحقاقا للحق وإصلاحا للخطأ أردنا ذكر بعض أعلام هذه الحضارة.

2) الأطباء العرب:

(1) اسحاق بن عمران (903 م – 290 هجري).

إنه من الضروري في بادئ الأمر أن نذكر مقالة اسحاق ابن عمران في الماليخوليا، التي يقول في مقدمتها، "لم أقرأ لأحد من الأوائل في الماليخوليا كتابا مرضيا ولا كلاما شافيا" كما يعرِّف ابن عمران في هذا المخطوط بالداء ويعدد أسبابه ويحدد مظاهره السريرية ويدرس بدقة كبيرة علاجه.

ولهذا فان دراسة ابن عمران تبدو أول دراسة متكاملة في داء الماليخوليا وماله من أصناف سريرية يصنفها ابن عمران بدقة وبغاية من الوضوح وأسبابه المضنية ولكنه يرتكز في تحليله على نظرية الأخلاط الأربعة لأبقراط.

وفيها خلَّف لنا ابن عمران دراسة قيمة في علم الأدوية تهتم بعدة أعشاب وعدة عقاقير ضبط نسبتها وكيفية استعمالها حسب كل نوع من أنواع الماليخوليا.

كما تحدث عن الخشخاش ومفعوله الحسن في علاج الماليخوليا وسيضل الخشخاش مستعملا حتى أوائل القرن العشرين في علاج هذا المرض.

ونود أن نشير أخيرا إلى أن ابن عمران قد تحدث بصفة خاصة عن العلاج بالطرق النفسية والطرق الاجتماعية وعن العلاج بالطرق الفيزيائية وبالمناخ...

وبإيجاز فإنه جمع ونمَّى بصفة مدهشة كل أصناف العلاج التي كانت مبعثرة هنا وهناك في الكتابات القديمة.

وسوف نستعرض في أطروحتنا هذه وبأكثر دقة هذه المقالة باعتبارها موضوع بحثنا الحالي.

(2) الرازي (850 م – 923م) (238– 310 هجري)

في نفس الزمان تقريبا، كان أبو بكر الرازي الفارسي الأصل من أكبر الأطباء الناطقين بالعربية، شديد الاهتمام بعلم النفس والأمراض النفسية.

ونستشهد بما قاله عنه الأستاذ سليم عمار في هذا الموضوع "محيطا بعلوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات كان الرازي كذلك يهتم بعلم النفس وليس لنا في ذلك دليل خير من كتابه "الطب الروحاني" وكتابه "في المنطق" وما كتبه في "الإحساس" و"اللّذّة".

ولنا كذلك من الرازي مصنفات قيمة حول "التخيل" و"الوسوسة" و"اضطرابات السلوك" و"الحالات الانفعالية".

وكان الرازي على عكس ابن عمران، يمنع الخمر على الماليخولانيين ولكنه يؤكد على أهمية الترويح والتداوي باللعب وبالإيحاء والعلاج النفساني.

(3) ابن سينا (930 م – 1037م) (317– 424 هـ)

هو أبو العلاء الحسين ابن سينا "أمير الحكماء"، "الشيخ الرئيس" وهو "المعلم الثاني" و"الأستاذ المعلم" أحد عمالقة الفكر العربي الإسلامي، جمع بين الطب والعلوم الأخرى كالفيزياء والكيمياء والرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفية والمنطق والفقه وعلم النفس والشعر والجبر والأرطمطيقا والجومتريا والفلك...

لقد كان يتمتع بذكاء نادر. كتب عدة مصنفات في الطب والفلسفة وغيرها وأشهر كتبه في الطب هو مجلد ضخم سماه "القانون في الطب" وتحدث فيه عن الماليخوليا، ولم يضف إلا القليل عما ذكره ابن عمران، غير أنه قاوم بكل شدة التفسير المرضي المرتكز على الماورائيات كالجن وغيرها واكتفى بالتفاسير العلمية المنطقية ووقف بعيدا عن التأويلات يقول "وقد رأى بعض الأطباء أن الماليخوليا قد يقع عن الجن ونحن لا نبالي من حيث نتعلم الطب أن ذلك يحدث عن الجن أولا يقع، بعد أن نقول إن كان يقع عن الجن، فيقع بأن يحيل المزاج الى السوداء فيكون سببه القريب السوداء ثم ليكن سبب تلك السوداء جنا أو غير جن"[32]

وقال في وصف أحد أصناف الماليخوليا "والقطرب هو صنف من أصناف الماليخوليا يعرض في شهر شباط[33] ويجعل الانسان يفر من الناس الأحياء محبا لمجاورة الموتى..." ... "ومع ذلك حبا للخلوة وبعدا عن الناس ولا يسكن في موطن واحد..."[34]

وفي العلاج فإنه يذكر خاصة الخشخاش والبابونج والأقحوان والشبت وإكليل الملك والسوسن والخربق والأفتيمون.

3) وفي نفس الوقت في الشرق:

وفي العالم المسيحي كان العلماء يتساءلون هل أن "الماليخوليا" هي مرض النفس أم مرض الجسم، فقد كان بعض الرهبان ينصح بعدم الاستسلام للمرض بل ويأمر بالمزيد من النشاط والعمل والحزم يقول جان كسيان[35] في نهاية القرن الرابع مسيحي: "صلوا واعملوا"، وكان البعض الآخر يربط سبب الماليخوليا بخطيئة آدم وكان البعض يعذِّب ويسجُن ويقتُل حرقا عددا كبيرا من المصابين بالاكتئاب والهذيان أما هيلدقارد البنجنية[36] Hildegarde de Bingen(سنة 1098م) فتنصح بإسالة الدم وبفتح جمجمة هؤلاء المصابين.

وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر، استقر قسطنطينوس الإفريقي بجبل كاسينو بساليرنا (ايطاليا) بعد أن قدم من قرطاج فقام هنالك بترجمة المصنفات العربية ونسب جلها الى نفسه.

وشهد فيه الأستاذ ستاروبنسكي Starobinski أستاذ تاريخ بجامعة جنيف بقوله "أريد أن أتحدث عن كتاب في الماليخوليا لقسطنطينوس الافريقي ذلك النص الواضح الجميل الخالي من التحاليل السحرية أو الشيطانية" قال "ويمثل هذا الكتاب همزة الوصل الثمينة بين علم القدامى والعصور الوسطى المسيحية".

وهذه الشهادة واضحة المدلول لو كانت صريحة لأنها قيلت في كتاب ترجمه قسطنطينوس

الإفريقي إلى اللاتينية من الأصل العربي، لصاحبه إسحاق بن عمران ونسبه لنفسه، وتعليل هذا يرجع حسب الأستاذ سليم عمار "لسبب التنافس والعداء الموجود بين الإيطاليين والعرب، فخير قسطنطينوس الإفريقي محو أصول كل مرجع عربي حتى يتمكن من نشر ترجمة كتاباتهم في وسط أوسع".

4) عصر النهضة:

لقد عرف المصابون بالماليخوليا في هذا الزمن "عصرهم الذهبي" إذ تم تصنيفها كمرض قابل للعلاج والرعاية.

أ- فهاذا براسالس (1493- 1541 م) Paracelse يعالج الماليخوليا بإسهال المرة السوداء ويحاول استعمال أدوية تدفع للضحك، وتبعد عن الحزن.

ب- وهذا أندري دي لورنس (1550- 1609م) André de Laurens أول طبيب للملك هانري الرابع لم يضف على معلومات العرب إلا بعض التغييرات البسيطة.

ج- أما فانيني لوسيلو (1585-1619 م) Vanini Lucilo فهو يعتقد ان المصابين بالماليخوليا، تصحبهم سحابة تصدر من أفواههم وتحيط بهم وتنشر العدوى في كل من يقربهم.

د- وأما جاك دوبواس (1478 – 1619م) Jacques Dubois

فإنه يقول "فلننزع السلاح عن الماليخوليين ونمنعهم من القرب من النوافذ، وإذا حاولوا التهجم على غيرهم فشدوا الوثاق واضربوهم".

هـ- وأما جان فرنال (1497- 1158م) Jean Fernel

عميد كلية الطب بباريس سابقا و تيموتي برايت (1615-1551م) Timothy Bright وفيليكس بلاتار(1536-1614م) العالم السويسري، Felix Platter ، فإنهم يحافظون بكل أمانة على نظرية الأخلاط الأربعة، دون محاولة أي إصلاح.

و- توماس سيدنهام (1624-1689 م) Thomas Sidenham.

كان يعتبر أن العلاج الأساسي لهاته الأمراض يتمثل في شرب المياه التي تحتوي على نسبة مرتفعة من الحديد، وشجرة الكنكينا وحليب النساء وركوب الخيل الذي سبق أن ذكره ابن عمران.

ز- فريدريك هوفمان (1660-1742م) Frédéric Hofmann

يعتبر هذا الكاتب أن سبب الماليخوليا هو عامل خاص بنفس الدماغ "حينما تتقلص الأم الجافية، حتى تضيق الجيوب الدماغية، ويعسر مرور الدم فيها، عندئذ تتولد في النفس مشاعر الحزن والقلق بدون سبب..."

وهاته النظرية الجسمانية الجديدة وإن كانت تختلف أصلا مع نظرية الأخلاط والمرة السوداء، فإنها تماثلها من ناحية أنها كذلك نظرية خيالية، ليس لها أي أساس تجريبي علمي.

ح- شارل لوري (1726- 1783 م) Charles Lorry

في المخطوط الذي صدر سنة 1765[37] فرق بين:

- الماليخوليا الخلطية الناتجة عن المرة السوداء والتي تكون مظاهرها السريرية تتمثل في أعراض عسر الهضم.
- الماليخوليا العصبية، التي تختص بالأعراض العصبية ونوبات الصرع.

أما العلاج فهو يرتكز على:

- تقوية الجسم بالحمية والأغذية.
- مقاومة التقلص بالأدوية والعقاقير.

وهو يحذِّر من استعمال الأفيون لهاذا يقول الأستاذ جان ستاروبنسكي "إن مخطوط لوري هو الحد الفاصل بين مرحلتين من مراحل التفكير في الأمراض العصبية"... "إنه أتى في الوقت الذي تقهقرت فيه النظرية العتيقة وبدأت النظرية العصرية في طور التبلور والبروز".

R 227.659 616.89.4 L83a

DE
MELANCHOLIA
ET
MORBIS MELANCHOLICIS.
TOMUS ALTER
Tentamina ad horum curationem complicatas.
His saltem accumulem donis. Virgil. Æneid. VI.

LUTETIÆ PARISIORUM,
Apud P. GUILLELMUM CAVELIER, viâ San-Jacobæâ, sub signo Lilii aurei.
M. DCC. LXV.
Cum Approbatione & Privilegio Regis.

Digitized by Google Original from UNIVERSIDAD COMPLUTENSE DE MADRID

...Anne Charles Lorry, De melancholia et morbis melancholicis
.Description matérielle : 2 t. en 1 vol
Édition: Lutetiae Parisiorum : P.-G. Cavelier , 1765.

III -3- المرحلة الثالثة:من أسكيرول إلى طسطفان

إن نهاية القرن الثامن عشر، تُمثل المنعرج التاريخي لفهم داء الماليخوليا، بصفة خاصة والأمراض العصبية بصفة عامة،

منعرج مطبوع بفلاسفة الإدراك الحسي، الذين يجعلون للإحساس الدور الأساسي لتطور الأفكار والميول، وهكذا فإن تولد الأمراض العصبية يصبح مرجعه كما قال أبو بكر الرازي منذ تسعة قرون (850- 923 م) إلى الجهاز العصبي والأعصاب ويصبح سبب اضطرابات المحاكمة والتمييز، مستقلا عن الأخلاط أو تقلص الأم الجافية.

1- أسكيرول (1772- 1840م) Esquirol

انتقد أسكيرول نظرية الأخلاط ونصح بفسخ كلمة الماليخوليا من المعجم العلمي واقترح التصنيف الثنائي التالي:

- جنون ومعه عنصر انبساطي وانشراحي وهو داء المانيا أو الهوس.

- جنون ومعه أسى وحزن وهو داء الـ"ليبيمانيا" [38]. وهذا الصنف ما زال يحتوي على مجموعة غير منسجمة من الأمراض العصبية كالحالات الإكتئابية والاختلاط الذهني والعصاب الوسواسي والفصام والهذيانات المزمنة الاضطهادية ...

ويعتبر هذا رجوع إلى نظرية ابقراط الذي يفصل بين الماليخوليا (= داء الجنون) وألمانيا (= داء الانشراح).

2- فيليب بينال PINNEL PHILIPPE (1755-1826م)

حسب بينال، فإن مهمة الطبيب هي تحطيم نظرية الحل الواحد واليأس من العلاج فالعلاج النفسي هو الأساس الذي يقدمه بينال بعد أن حطم سلاسل المجانين.

وطرق العلاج النفساني عديدة "يجب إقناع المريض بالحجة أو الاحتيال إذا أمكن..."

"كمثل الحادثة التي دخل بينال فيها في هذيان المريض حتى نصب له محكمة (كاذبة) حكمت عليه بالبراءة بعد ان كان يعتقد أنه كان مجرما كما يقول."

"ويجب استعمال الموسيقي والأسفار حتى نحيي إحساس المريض ونبعث في نفسه حبَّ الحياة ونخلِّصه من الميول المرضية"

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر برزت عدة أساليب جديدة للعلاج كالعلاج بالدوران [39] والأسفار وهي "أنجع أنواع العلاج إذا ما كان الداء حديثا " والمياه المعدنية والموسيقى [40].

3- ألكسندر بريار دي بوامونت

(1881-1797) - Briére de Boismont [41]

في حوالي منتصف القرن التاسع عشر برزت من جديد فكرة العلاج الاجتماعي فنصح هذا الطبيب النفساني الفرنسي بتنظيم الأوساط الاستشفائية على النمط العائلي لأنه "ليس هنالك إلا النسوة للقيام بكل اخلاص بمثل هاته المهمة" وكلف زوجته بهاته التجربة.

4- بايارجي[42] Baillarger (1809-1890)
يعتبر أن الحمق تابع للماليخوليا ولاحظ أن المانيا والماليخوليا يمكن أن يتعاقبا عند المريض فسماه الجنون المتعاقب أو المستدير.

5- ديلاسيوف Delasiauve[43] (1804-1893 م)
فرق بين الماليخوليا والحمق، وسماه الاختلاط الذهني.

6- فالرات Falret[44] (1794-1870م)
ميز الماليخوليا العادية عن التعب الدوري وسمي "جنون متعاقب" الجنون الذي يظهر في مظهر الحزن تارة وفي مظهر المانيا تارة أخرى.

7- كوتارد Cotard[45] (1840-1889 م)
وصف هذيان نفي الأعضاء الذي سبق أن ذكره ابن عمران.

8- مقنان Magnan (1835-1916 م)
طبيب نفسي فرنسي، قارن وواجه الماليخوليا بالمانيا.

9- كريبلان Kreaplin (1856-1926 م)
يجمع كل الذهانات أو النفاسات في إطار واسع قسمه كما يلي:
- النفاس المبكر أو الجنون المبكر وهو ما يسمى اليوم بداء الفصام[46] أو السكيزوفرينيا.
- النفاس الهوسي الاكتئابي[47]، وهو مرض تكويني أصله داخل الجسم (Endogéne).

10- بلولار Bleuler[48] (1911).
طبيب نفساني سويسري، شهر بأنه أول من أوجد كلمة سكيزوفرينيا عوضا عن الجنون المبكر.

11- فرويد Freud (1856- 1939 م).
يكتشف دور الإحساسات اللا شعورية في إحداث الأمراض النفسية.

12- طسطفان J. Tastevin[49]
وأخيرا بفضل دراسته للإنفعالات استطاع طسطفان في سنة 1910 أن يبين أنَّ الماليخوليا مرض مستقل وان الانفعالات المحزنة والمؤلمة قادرة على أن تتسبَّب في تعب فكري أو عضلي وبين أن الماليخوليا لا تتصادم ولا تنفصل عن الهوس.

III-4- المرحلة الرابعة: التاريخ المعاصر.

إذا كانت المظاهر السريرية تطورت دون شك من جراء التغيرات الحضارية فإن تطور التصنيف السريري والعلاج عرف انقلابات عديدة عبر تاريخ الماليخوليا حتى أصبح اليوم هذا المرض له استقلاليته التامة في وضوح المظاهر والأعراض وطرق العلاج.

(1) الوصف السريري:

يُعرِّف ساشا ناخت[50] وبول كلود روكاميي[51]، التناذر الاكتئابي كما يلي "هو حالة مرضية لألم نفساني وعقدة ذنب شعورية مصحوبة بشعور بالنقص من قيمة الانسان الذاتية مع نقص في الإمكانيات الفكرية والحركية وحتى في إمكانيات الأعضاء"[52].

ذلك أن التناذر الاكتئابي، سواء كان مظهرا للاكتئاب العصابي (مرض أسبابه خارجية) أو الاكتئاب الماليخولي (مرض سببه تكويني داخلي) يختص بأربعة أصناف من المظاهر:

أ) مظاهر الألم النفسي:

- الحزن المرضي.
- الخمود والصمت.
- القلق.
- رفض الطعام.
- الألم النفسي المرير الذي يؤدي إلى الانتحار والتحطيم الذاتي التدريجي، حيث أن الانتحار أصبح الخطر الأول الذي يهدد حياة المصابين بهذا الداء.
- البطء في تسلسل الأفكار وأحيانا الأفكار الهذيانية والشعور بالنقص.

ب) مظاهر التثبيط النفسجدي:

- الخمود.
- الركود وقلة الحركة.
- التردد.
- الحزن البادئ على سمات الوجه...

ج) المظاهر الجسدية:

- الأرق أو النوم المتقطّع.

- الشعور بالتعب.
- الصداع.
- اضطرابات الجهاز الهضمي كفقد شهية الطعام وانتفاخ البطن وعسر الهضم ومسك الزبل والهزال...

وهنالك عدة أمراض أخرى كالهلس والهذيانات وتناذر كوتارد التي قد تدخل في إطار التناذر الإكتئابي.

د) المظاهر المخبرية

- ارتفاع درجة الكولسترول في الدم عند النوم وانخفاضه بعد الاستيقاظ.
- نقص في كمية البولة اليومية.
- نقص في سرعة دوران الدم.
- انعدام دم الحيض والعجز الجنسي.
- اضطرابات وظيفة الكبد والمرة.
- سقوط درجة الأمينات العصبية في البولة وفي السائل الدماغي الفقري.

(2) تصنيف الحالات الاكتئابية

تصنيف الحالات الاكتئابية حسب سببها كما يلي:

أ) الاكتئابات ذات سبب تكويني داخلي (Endogéne).

- الماليخوليا في إطار الذهان الهوسي الاكتئابي(Psychose maniaco depressive).
- ماليخوليا الانتكاس (Mélancholie d'involution)
- الاكتئابات النفسية التي تظهر في الفصام وفي الذهانات الهذيانية الحادة.

ب) الاكتئابات ذات سبب خارجي مكتسب (Exogène)

** اكتئابات خارجية نفاسية

الاكتئاب العصابي (Dépression névrotique)

الاكتئاب الانتهاكي(Dépression d'épuisement)

الاكتئاب الارتكاسية (Dépression réactionnelle)

** اكتئابات خارجية عضوية هي اكتئابات ثانوية لإصابات وأمراض الكبد والمرة وسرطان الدم...)

(3) الأصناف السريرية للماليخوليا.

1) الاكتئاب الذهولي فيه ذهول تام وجمود فكري وجسدي (Formes stuporeuses).

2) الاكتئاب القلقي (Formes anxieuses).

إنَّ القلق متناهٍ والفزع كبير والمصاب لا يستطيع الاستقرار في أي مكان.

3) الأصناف الهذيانية (Formes Délirantes).

- هذيان الذنب واللعنة واليأس المطلق من المغفرة والرحمة.

- هذيان العجز والإفلاس.
- الهذيان الشراسفي كأن يتصور المريض أنه مصاب بسرطان في أمعائه.
- هذيان النفي للأعضاء في إطار ما نسميه تناذر كوتار

4) الأصناف الهلصية (Formes hallucinatoires)
5) ماليخوليا الانتكاس (Mélancolie d'involution)
6) الماليخوليا الخفيفة وهي الأصناف الملخصة في اكتئاب أو حزن... (Formes mineures).
7) الماليخوليا التي تبدو أحيانا وكأنها ارتكاسية لفقد محبوب ما (Formes réactionnelles).

وكلّا من الماليخوليا الخفيفة أو التي تبدو ارتكاسية تمثل همزة الوصل بين الماليخوليا والحالات الاكتئابية العصابية والارتكاسية.

(4) العلاج:

إنَّ المرحلة المعاصرة قدَّمت في فن العلاج إمكانيات حديثة ذات فاعلية أكيدة ضد حالات الاكتئاب وهي:

أ- الصدمة الكهربائية التي استعملت لأول مرة سنة 1938 في ايطاليا من طرف العالِمَيْن سرلتي وبيني Cerletti et bini .

ب) الايمبرامين أو طوفرانيل Tofranil ، استعملها كوهن Kuhn لأول مرة سنة 1957.

ومنذ ذلك التاريخ تم اكتشاف عدد كبير من الأدوية المضادة للاكتئاب ثلاثية الدوائر Tricycliques. وهاته الأدوية تصلح نقص المينيات في مستوى عدسات الاتصال المركزية (سينابس Synapse بمنع عملية إعادة التقاط مادتي النور ادرينالين والسيروتونين (Noradrénaline et Sérotonine)

وهاته المضادات للاكتئاب الثلاثية الدائرة تتفرع عن:

*- إما من هيكل الايمينو ديبنزيل مثل الطوفرانيل Tofranil.

*- وإما من هيكل الديبنزو سيكلو هبتان مثل الأميتربتيلين (Amitriptiline).

أما المابروتيلين فهيكلها يتكون من أربعة دائرات وهاته الأدوية المضادة للاكتئاب لها مفعول ضد الاكتئاب ومفعول مُسَكِّن مما يجعلها تؤثر إيجابيا في الحالات الاكتئابية المزمنة والحالات الاكتئابية العصابية خاصَّة.

ج) الأدوية المثَبِّتَة للأعصاب (النورولبتيك Neuroleptiques أولها الكلوربرومازين Chlorpromazine (لارقاكتيل) التي وقع استعمالها منذ سنة 1952.

كما استعملت الأدوية المسكِّنة والمهدِّئة خاصَّة في الحالات الاكتئابية العصابية ونذكر على سبيل المثال الميبروبامات (إيكوانيل) Equanil- Meprobamate والكلورديازيبوكسيد (Chlordiazepoxide) والديازيبام (Diazépam) (فاليوم).

د- أملاح الليتيوم Sels de Lithium.

كان أوَّل استعمال لها سنة 1949 من طرف جون كاد.
(John cade) ثم تركها من أجل حالات التسمم التي نتجت عن استعمالها.

وفي سنة 1968، أعيد استعمالها في النفاسات الهلسية السوداوية مع مراقبة نسبة الليتيوم الدموي.

مـــ) المضادات للمونو أمينو أوكسيداز[53] اكتشفـت سنة 1958 I.M.A.O.

و) وبعد ست سنوات من 1979، عرفت الكيمياء الحيويَّة الدِّماغيَّة انطلاقة متناسبة مع الآمال والأحلام الَّتي ولَّدتها. فقد تمكنت من إثبات إفتقار عدسات الإتِّصال المركزية Synapses للنور ادرينالين أو السيروتونين (أمينات عصبية)Neuroamines في التناذر الإكتئابي الناتج أو المسبب لحالة الاكتئاب.

وقد أمكن بعد ذلك اكتشاف عدة أنظمة كيمياوية حيوية مترابطة في الدماغ.

وبالتالي فإن الأمينات العصبية، مثل، الاسيتيل كولين (Acétylcholine) والحامض قاما بوتيريك (Acide gamma–butirique) والقليسين (Glycine) والقلوتامات (Glutamate) والمادة ب (Substance P) والبروستاقلاندين (Prostaglandine) والأندرفين (Endorphine) ... قد أدى تطور استعمالها في علاج الحالات الإكتئابية، إلى تغير كبير في حالة المصابين.

أمَّا دراسة تطور الأمينيات الحياتية Bioamines عند الإنسان فتكون بتحليل نسبتها في البولة والسائل الدماغي الفقري ودماغ المنتحرين...

والبحوث متواصلة حول مفعول الكاتيكولامين Catécholamines والسيروتونين Sérotonine وعدة واسطات عصبية أخرى وهي تهدف إلى البحث عن تفاعلها مع التناذر الاكتئابي.

وقد وقع تحديد طرق عملية لتحليل موضوعي لنسبة هاته الأمينيات والمواد الحاصلة عن تطورها.

وتمثل حادي الأمينيات) [54](Monoaminesالعصبية جزءًا من نظام شاسع واسع متكوّن من عدة واسطات عصبية (Neuromédiateurs) ولها ارتباط وثيق بحالات الاكتئاب.

غير أنَّ البحوث المتواصلة إلى يومنا هذا تفتح آفاقا كبيرة للمستقبل نظرا لأنها تهتم أيضا بكيفية تأثير الأدوية المضادة للاكتئاب والهرمونات وغيرها...في مستوى أماكن الاستقبال (récepteurs) العصبية كما تهتم بآلية مفعول الأيونات(ions) الكهربائية والواسطات العصبية والهرمونات.

ونذكر على سبيل المثال الأندرفينات ([55]Endorphine). أول الأندرفينات أكتشفها جون هوقس John Hughes وهانس كسترليتز Hans Kosterlitz، في دماغ أحد القوارض.

أثبتت البحوث سنة 1952، أن هذه المادة (enképhalines) تثير لدى الثدييات الإحساس باللذة. وتوصل العالم في الكيمياء الحيوية " لي" (C.H. Li) [56] إلى عزل هذه المادة، سنة 1964، من الغدة النخامية (Glande hypophyse)

للخَروف واستطاع العالم "قيلمان " Guillemin[57] استخراج مركَّب من نفس الجهة سماه ألفا اندرفين (Alpha endorphine) لها كل مفعول الأفيونات (opiacés) وخاصة منها الاحساس بالنشوة ورفع حالة التوتر.

وفي سنة 1974-1975 وقع استخراج مادة الانسيفالين (encéphaline) ولها مفعول يشبه مفعول الأدوية المورفينية خاصة تجاه الألم.

5- الخاتمة

ليس هنالك نظرية واحدة في الكيمياء الحيوية الدماغية ولكن هناك عدة معطيات يمكن جمعها لمحاولة للتفسير.

وقد عرف علاج الاكتئاب تطورا كبيرا في السنوات الأخيرة، مكَّننا من التصرف في العديد من الأدوية الناجعة وإننا نأمل أن تزيد الأبحاث المتواصلة حاليا في هذا المدخر.

وعندما نُلقى نظرة على تاريخ الماليخوليا نجد الأفيون في بداية الطريق، وها إننا مع الأندرفينات اليوم تمكننا من ضبط الحكمة التي قالها العالم " ليترى"[58] لا يوجد في أحدث ما اكتشف الطب شيء إلا وكانت له جذور في "طب القدامى".

فالنظرية الحالية حول الأندرفينات والواسطات العصبية تدخل في دائرات بيولوجية في الكبد وفي الجهاز العصبي كما هو الشأن بالنسبة للسيروتونين والكاتيكولامين.

ومن بين هاته الهرمونات العصبية وقعت بصفة خاصة دراسة الأنسيفالين[59] والأندرفينات[60] مما يتركنا نأمل الكثير من المستقبل حتى نسعى لتفهم الآليات العميقة للكيمياء الحيوية الدماغية في حالات الاكتئاب.

IV – دراسة وتحليل مخطوط

" مقالة لاسحاق بن عمران في الماليخوليا"

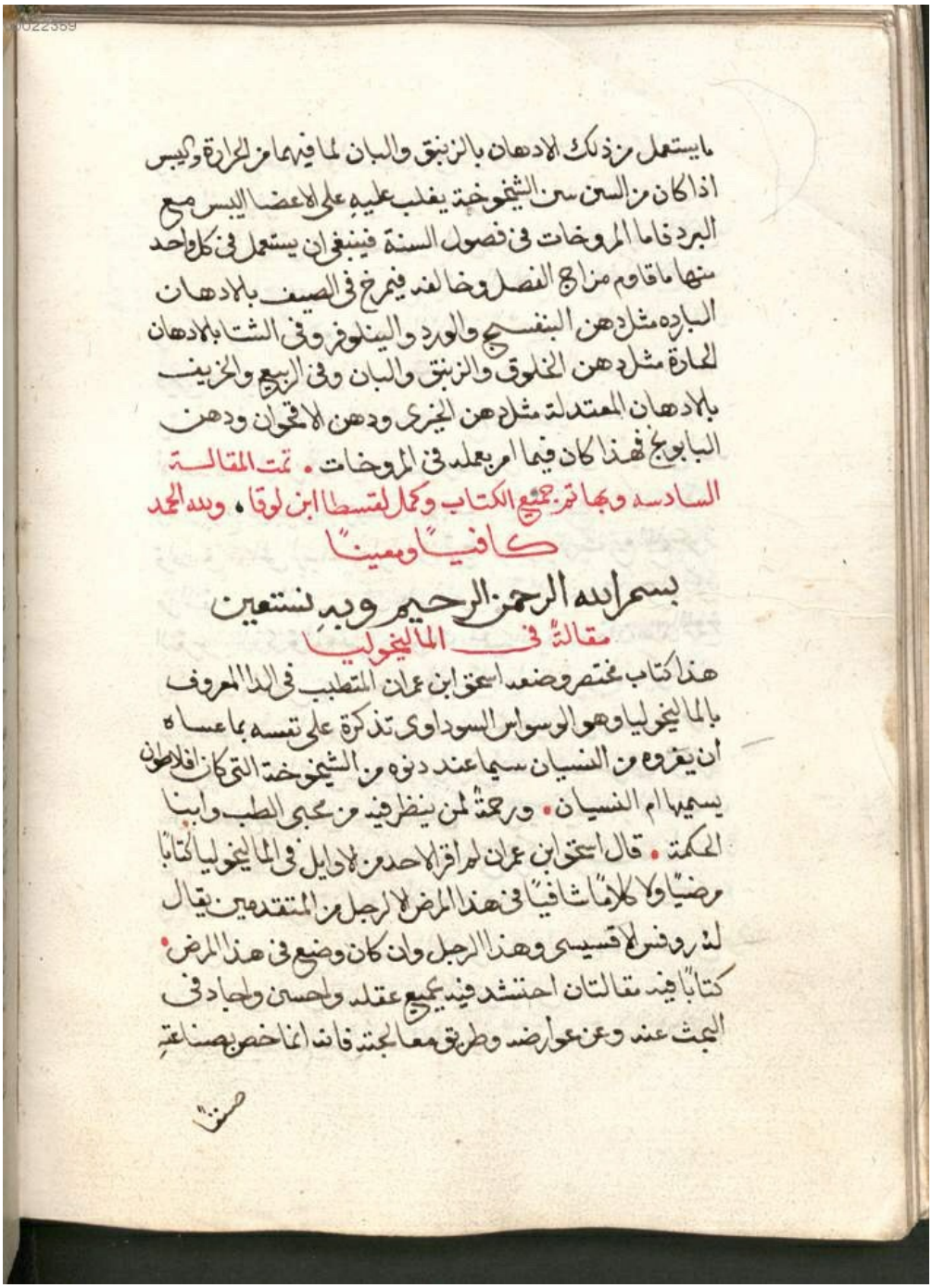

مايستعمل من ذلك الادهان بالزنبق والبان لما فيهما من الحرارة ويبس
اذا كان من السن سن الشيخوخة يغلب عليه على الاعضا اليبس مع
البرد فاما المروخات فى فصول السنة فينبغى ان يستعمل فى كل واحد
منها ما قاوم مزاج الفصل وخالفه فيمرخ فى الصيف بالادهان
الباردة مثل دهن البنفسج والورد والينلوفر وفى الشتا بالادهان
الحارة مثل دهن الخلوق والزنبق والبان وفى الربيع والخريف
بالادهان المعتدلة مثل دهن الخيرى ودهن الاقحوان ودهن
البابونج فهذا كان فيما امر بعمله فى المروخات . تمت المقالة
السادسة وبها تم جميع الكتاب وكمل لقسطا ابن لوقا . ولله الحمد
كافيا ومعينا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

مقالة فى الماليخوليا

هذا كتاب مختصر وضعه اسحق ابن عمران المتطبب فى الذا المعروف
بالماليخوليا وهو الوسواس السوداوى تذكرة على نفسه بما عساه
ان يعروه من النسيان سيما عند دنوه من الشيخوخة التى كان افلاطون
يسميها ام النسيان . ورحمة لمن ينظر فيه من محبى الطب وابنا
الحكمة . قال اسحق ابن عمران لم اقرا لاحد من الاوايل فى الماليخوليا كتابا
مرضيا ولا كلاما شافيا فى هذا المرض الا لرجل من المتقدمين يقال
له روفس الافسيسى وهذا الرجل وان كان وضع فى هذا المرض
كتابا فيه مقالتان احتشد فيه بجميع عقله واجتهد فى
البحث عنه وعن عوارضه وطريق معالجته فانه انما خص بصناعة

صنعة

الصفحة الأولى من المخطوط المحفوظ بالجناح العربي لمكتبة ميونيخ الألمانية

IV –1 الفصل الأول: تقديم المخطوط

IV–1–أ. محتوى المقالة الأولى:

"هذا كتاب مختصر وضعه بن عمران المتطبب في الداء المعروف بالماليخوليا ".

من كل كتابات بن عمران لم نعثر إلا على هذه المقالة التي تحفظ نسختها الوحيدة في مكتبة مونيخ في الجناح العربي تحت رقم 805.

والمخطوط هو جزء من مجلد يحتوي على 282 صفحة وبه ثلاث كتب وهي:

–1– مقالة في البلغم لقسطى بن لوقي.

–2– مقالة في الماليخوليا لإسحاق بن عمران.

–3– كتاب المواليد الجدد لحنين بن إسحاق.

وبهاته المناسبة نود أن نقدم شكرنا الى الأستاذ سليم عمار الذي استورد صورة شمسية لهذا المخطوط إثر سفره الى مونيخ لهذا الغرض سنة 1968، ثم مكننا من القيام بهذا البحث بعد أن وضع معالم المخطوط الأولى وحقق نصّه صحبة الأستاذ عبد الحميد منصور أستاذ عربية بكلية الشريعة بتونس الذي تمكن من إعادة كتابته بالآلة الراقنة.

والمخطوط "مقالة في الماليخوليا" موضوع بحثنا مكتوب بخط جميل دقيق نسخه أبو زياد بن الأولرسان سنة 1757 م من النسخة الأصلية التي كتبها حُنَيْن بن اسحاق بنفسه.

ينقسم المخطوط الى مقالتين وتتحدث المقالة الأولى عن:

1– سبب وضع الكتاب.

2– التعريف بالماليخوليا.

3– أعراض الماليخوليا.

4– كيفية الداء وأسبابه.

5– الأصناف السريرية.

أما المقالة الثانية فهي تتحدث عن وسائل العلاج وهي:

1– العلاج النفساني.

2– العلاج بالحمية والتغذية.

3– العلاج بالبيئة والمحيط.

4– العلاج بالطرق الفيزيائية.

5– العلاج بالأدوية والعقاقير.

IV–1– ب. موضوع بحثنا.

رأينا من المفيد اختيار هذا الموضوع لأطروحتنا لسببين اثنين، أولهما التعريف بهذا المخطوط الهام، وثانيهما مقارنة دراسة تحليلية قام بها ابن عمران في داء الماليخوليا بناءً على ما كان يشاهده في عصره مع ما نعرفه اليوم عن الحالات الاكتئابية في تونس وخاصة في جهة القيروان حتى نستفيد من دراسة هاتين الوجهتين في كل من إطارها التاريخي والاجتماعي

المناسب.

ومن هاته الدراسة والمقارنة نستنتج عدة معلومات تدفعنا دون شك الى التفكير.

لقد سبق للدكتور أحمد الشريف أن تحدث عن هذا المخطوط ودرسه بجامعة بوردو بفرنسا سنة 1908 في أطروحته حول تاريخ الطب في تونس.

غير أن دراسته كانت وجيزة وسطحية إذ أنه لم يكن متخصصا في الأمراض العصبية والنفسية.

كما نشر السيد أبو بكر أبو يحي مقالة حول هذا المخطوط في مجلة تاريخ العلوم الفرنسية سنة 1953.

ونحن نأمل أن تكون دراستنا لهذا المخطوط أكثر عمقا وأن تدخل في إطار ما نسميه الطب النفسي المقارن عبر الثقافات.

فهاته الدراسة تدخل في إطار الطب النفسي الثقافي الذي هو بدوره فصل من فصول الطب النفسي الاجتماعي. ذلك أنه يعتني بالمريض وبعلاقته بالوسط الثقافي والأسباب المرضية والطبيعية ونسبة انتشار المرض وكيفية تحول المرض وتقدمه وذلك في إطار وحدة ثقافية معينة[61].

ويعتبر مصطلح الطب النفسي عبر الثقافات توسعا لمصطلح الطب النفسي الثقافي، ومفاده أنَّ آفاق الدَّارس والباحث تمتد خارج وحدة ثقافية معينة إلى وحدة ثقافية أخرى.

وهو يهتم أساسا بالمظاهر المقارنة والمتناقضة أحيانا للأمراض النفسية في كل واحد من الحقول الثقافية المعينة، وذلك خارج حدود الزمان والمكان.

ونظرا لأن دراستنا تهتم ببيئتين ثقافيتين مستقلتين عند مجموعة ثقافية واحدة، وفي وحدة جغرافية واحدة، فإنه يمكننا وضعها في إطار الطب النفسي الثقافي.

وسنتمكن حينئذ من دراسة:

1- أوجه التقارب والتفارق للمظاهر المرضية النفسية في وسطين ثقافيين.

2- العوامل الثقافية والجنسية وغيرها التي تؤهل هنا وهناك لبروز الإكتئاب الماليخولي.

3- مختلف الأدوية والعلاجات المستعملة.

4- مختلف المواقف التي اتخذت إزاء المريض النفسي بصفة عامة والمصاب بالماليخوليا بصفة خاصة عبر العصور التاريخية المذكورة.

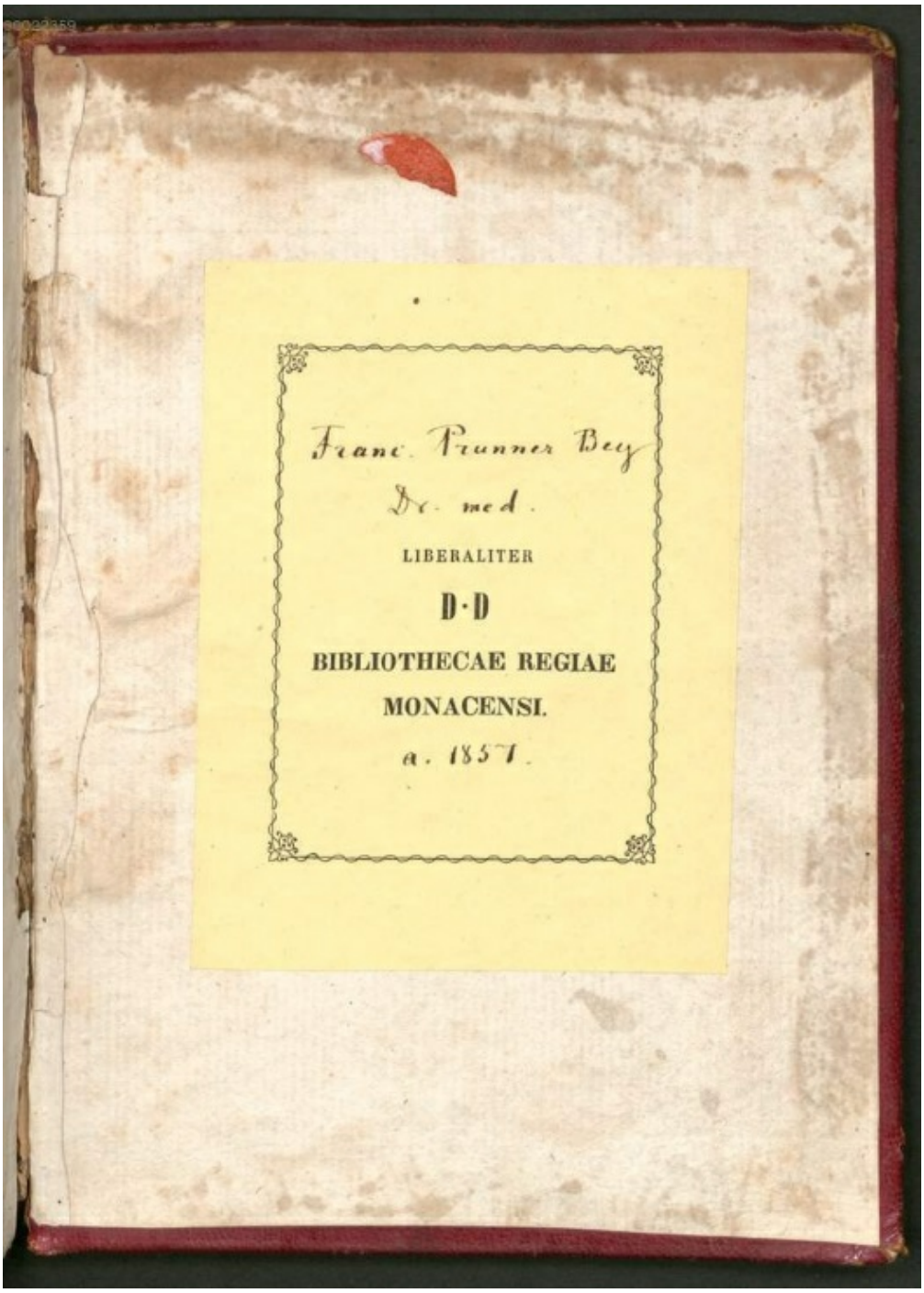

IV-2- الفصل الثاني:
تحليل المقالة الأولى في الماليخوليا

IV-2-أ. المقدمة:

أراد ابن عمران أن يقدم لنا بحثا وجيزا حول المرض المعروف بالماليخوليا، ذلك أنه لم

يجد في كتب الأوائل ما يشفي غليله إذ يقول "لم أقرأ لأحد من الأوائل في الماليخوليا كتابا مَرضِيا ولا كلاما شافيا" وسعى أن يكون هذا البحث وجيزا في شكل مذكرة خاصة لدنوه من الشيخوخة التي يسميها أفلاطون "أم النسيان" مشيرا إلى أنَّ جالينوس لم يذكره في كتاب مفرد بل كان ذكره له ذكرا منثورا، "وأما روفس الأفاسي" فقد خص بصناعته صنفا واحدا من هذا المرض وهي "العلة الشراسفية" لذا رأى ابن عمران من واجبه وضع كتاب في داء الماليخوليا يشمل بإيجاز وبصفة علمية منطقية التعريف بهذا الداء وبسببه وأصنافه وطرق علاجه.

IV-2-ب. التعريف بالماليخوليا:

1) كلمة الماليخوليا، مشتقة من اليونانية وهي تعني المرة السوداء وسمي هذا الداء "ماليخوليا" لأن المرة السوداء هي سببه يقول ابن عمران " اسم الماليخوليا لم يقع بالحقيقة على معنى هذا الداء وإنما وقع على سببه الأدنى وهو المرة السوداء".

يقول ابن عمران "لمَّا كان مرض الماليخوليا بغيتنا وجب علينا منه هذه الأربعة التي من عادة الحكماء طلبها في كلِّ مرض:

- آنية الشيء: هل له وجود ومقرٌّ.
- ماهيته : ما هو وما هو حدُّه.
- كيفيَّته.
- سببه وعلَّته.

يحلُّ، حسب ابن عمران، داء الماليخوليا بحلول المرة السوداء في الجسم إمَّا في فم المعدة في الصنف الشراسفي منه وإمَّا في الدماغ في الأصناف الأخرى. وتلحق أعراضه بالنفس فتكوِّن الحزن العميق والكآبة والخوف والفزع والظنون المخيفة والكاذبة.

."فالماليخوليا هي مرض في النفس أعراضها الفزع والخوف الملاحق".

وهذا هو أول تعريف يقدِّمه ابن عمران.

2) كيفية داء الماليخوليا:

يرتكز التفسير الحيوي المرضي لابن عمران على نظرية الأخلاط إذ يقول "إنَّ للمرة السوداء بخار يتصاعد حتَّى إذا أدرك الدماغ وارتقى الى موضع العقل أظلم نوره وشوشه وأفسده حتى يمتنع من إدراك مُدْرَكَاتِهِ "..."وأكسبه خواطر وظنون فاسدة " ..."وتخيَّل الأمور تخيُّلا رديئا"..."وأحدث في القلب أحزانا ومخاوف رديئة هائلة"..."واتصل بالبدن لمتابعة النفس بالضرر وبدوام السهر والهزال والحزن وأضعف الأحوال الطبيعية"[62].

IV-2-ج. أسباب الماليخوليا:

يحصر ابن عمران الأسباب المرضية في ثلاثة عناصر:

- الأسباب التكوينية.
- الأسباب المكتسبة بعد الولادة.

- الأسباب النفسية.

1) الأسباب التكوينية:

وهي الأسباب "المرتبطة بالمزاج الأصلي والتي يمكنها التأثير عليه "من قبل فساد المني"..."من مزاج دم الطمث[63] "..." "من نفس مزاج الرحم، إذا غلبت عليها الحرارة واليبوسة" ..."من مزاج الدماغ، الذي يغذي قواه السياسية من الخيال والفكر والذكر... تغذيا رديئا أسود غير جيد ولا صافي".

2) الأسباب المكتسبة بعد الولادة:

وهي "الأسباب التي تعرض للبدن والنفس من بعد الولادة" وتفيدهما مزاجا رديئا ويذكر ابن عمران أهمهما وهي:

1- كثرة الطعام والشراب والإغراق فيهما.

2- ترك تنقية البدن.

3- سوء توزيع الأسباب الستة الاضطرارية "التي يتقلب فيها الناس أيام حياتهم وبها ومنها يكون صحتهم وأمراضهم وهي:

- العمل والحركة.
- السكون والنوم واليقظة.
- الاستفراغ والامتناع.
- الطعام والشراب.
- الهواء المتنسم والمستنشق.
- الأحداث النفسية.

4- فساد عين الغذاء وميله الى توليد:

- دم جاف مثل العدس ولحوم الضباء والأرانب.
- دم عكر غليظ مثل التمور ولحم التيوس.
- غذاء مالح غليظ مثل عظيم السمك المالح.
- دم حار مثل القنبيط والكرنب والباذنجان.

يقول ابن عمران "كل هذه، إذا أدمن أكلها وثوبر عليها جمعت المرة السوداء في البدن وأوقعت في الماليخوليا".

5- السوابق المرضية:

"إنَّ كل الأمراض المزمنة[64] أو الحادة الدورية تتسبب في ضعف العضو المصاب وتجعله أكثر حساسية وأقدر على جذب داء مثل الماليخوليا".

6- المناخ والحالة الجوية والفصول:

"إن سكنى البلد الحار جدا واليابس جدا والبلد البارد اليابس وهواء الخريف والبلد الذي فيه المياه الراكدة "تساهم في إحداث الماليخوليا" وذلك لأن "هواها مُشْرب بالعفونة غير نقي ولا صافٍ".

7- دور تغيير العادات:

يقول ابن عمران "وكذلك قطع عادة ما ... وترك الرياضة المعتادة".

8- إدمان شرب النبيذ:

وخاصة النبيذ المعتَّق "العفص البشع" فهو يتسبب في مرض الماليخوليا" لأنه يغذي البدن بقدر لونه... ولكثرة جنايته على العقل وتذهيله له وإضعافه وتوهين فعله".

ثم يتحدث ابن عمران عن مفعول النبيذ حسب وصف ونظرية جالينوس.

9- وأخيرا الأسباب المتضادة:

"من أعجب الأمور في داء الماليخوليا أننا وجدنا الأسباب المتضادة تُحدِثه وذلك أننا وجدناه يعرض لمن لا يُكثِر الطَّعام والشراب من المتفلسفين والمتبتِّلين فإنهم يصومون النهار ويسهرون الليل فيقِلُّ الدم في أبدانهم" ومن الأسباب المتضادة كذلك كثرة السهر أو كثرة النوم "بكثرة الترفه ودوام السكون والنوم يسهل الوقوع في هذا المرض".

3) الأسباب النفسية

وهي الأسباب المحدثة في النفس من جهة العوارض والآلام النفسية يقول ابن عمران "إن للنفس عوارض نفسية طبيعية، تنقسم الى عوارض النفس الحيوانية كالرضا والفزع والحياء...، وعوارض النفس الناطقة كالفكر والحفظ والدراسة والبحث والإحالة والفحص في معاني الأمور"..."فان كل هاته الأحوال إذا تعمقت النفس نحو واحد منها ودامت عليه كثيرا ما يخرجها إلى الداء المعروف بالماليخوليا ويسهل لها الوقوع فيه"

وذكر ابن عمران عدَّة أمثلة نذكر منها:

1- النُسَّاك الذين يقعون في الوسواس السوداوي بكثرة خوفهم من الله وفزعهم من عقابه.

2- المنكبُّون على القراءة والدراسات الفلسفية وكتب المنطق والتنجيم والأرطمطيقا..." فإنَّهم والله أعلم قريبون من الوسواس السوداوي لكثرة الإحالة والتفكير وشدَّة البحث والتمييز... وكَلال الذهن... وفشل النّفس".

3- فراق المحبوبات:

"فأمَّا فراق المحبوبات فمثل من ثكل ولده أو مات له بعض أحبائه أو تلف منه شيء نفيس فاخر عظيم الخطر لا يتهيأ له كسب مثله في كل وقت مثل من تضيع له كتبه ... أو من يذهب منه ماله من التجار ... كل أولئك من فرط الحزن والسقم يدخلون في مرض الوسواس السوداوي.

وهكذا فإننا نرى ابن عمران قد ذكر بكل دقة وشمول كل العوامل المرضية التي تساهم وتدفع الى الوقوع في هذا الداء وكلما استطعنا اليوم الكشف عن عامل جديد إلا ووجد مكانه في الإطار الواسع الذي سطره ابن عمران منذ أكثر من عشرة قرون.

4- الأسباب المرضية

ركَّز ابن عمران تفسيره للأسباب المرضية على نظرية اللأخلاط الأربعة لأبقراط. كما ذكر بتفصيل أنواع المرة وكيفية تأثيرها على الجسم في كل صنف من أصناف الماليخوليا.

ونظرا لثبوت خطأ هذه النظرية اليوم رأينا من الصالح عدم الإطناب في هذا الموضوع.

ثم قسَّم ابن عمران الحالات الاكتئابية الى صنفين:

1- صنف يتعلق بفم المعدة والشراسيف.

2- صنف يتعلق بالدماغ:

- اما انه يتولد في خاصة نفس الدماغ.
- وإما يتولد في جميع البدن ثم يصعد من أسفل الى نفس الدماغ.

IV-2-د. الأصناف المرضية:

1) الصنف الذي يتولد في خاصة نفس الدماغ

وينقسم الى صنفين:

أ* "صنف معه حمى حارة أكثر ما يعرض في علة البرسام أو أفرانيطسPhrénitis وهو ما نسميه اليوم الهذيان الحاد.

ب* وهذا الصنف ينقسم إلى صنفين:

+ صنف الوسواس السبُعي "وسمي كذلك لأن أصحابه يثبون وثب السباع ويعطون من النجدة والإقدام ما تحكي أحوالهم به أحوال السباع في هذا الباب " "وهذا الصنف عسير البرء صعب المعالجة " وهو ما نسميه بالاكتئاب القلقي الهائج.

+ الصنف الثاني يتولد من المرة السوداء الفاسدة "وأصحاب هذا الداء "لا ينكرون من أحوالهم

شيئا"..."بل يقربهم من الدهاء والمَكر والجريرة[65] ما لا ينقادون للنهي عن خطأ خطئوه أو سوء ظن ظنوه لأن الصواب فاتهم" وهو الصنف الهذياني من الماليخوليا.

2) الصنف الذي يرتقي من أسفل البدن الى الدماغ.

"وهذا الصنف إذا عرض كثير الاختفاء والاستتار ولا يكاد يظهر لسببين:

أ* لاختلاف أخلاق الناس فالطبيب لا يستطيع معرفة الداء إلا إذا كان عارفا بأخلاق المصاب قبل اصابته وكيف تغيرت.

ب* لأن ما يعرض للنفس من أسقام هو خفي لخفاء جوهر النفس".

3) الصنف الشراسفي.

" وفي هذا الصنف تَنْصبُّ المرة في فم المعدة ويرتقي مفعولها الى الدماغ".

وبين ابن عمران الصلة التشريحية بين المعدة والدماغ، كما بين مفعول المرة السوداء على القلب (الحزن والخوف) وعلى قوى السياسة وعلى الجهاز الهضمي "ففي القلب تحدث أحزانا ومخاوف"..."وإخطار اشياء بالفكر... مما تردع وتهول وليس لها معنى أصلا "..."ويعسر الهضم مع إمساك الزبل وتمدد في البطون ".

IV-2-هـ. الأصناف السريرية

1) الأعراض العامة

أ* الأعراض النفسية: الحزن والفزع "وهما شر عوارض النفس وأسقامها" لأن الحزن حدُّه فقد محبوب ما والخوف حدُّه توقُّع مكروه ما".

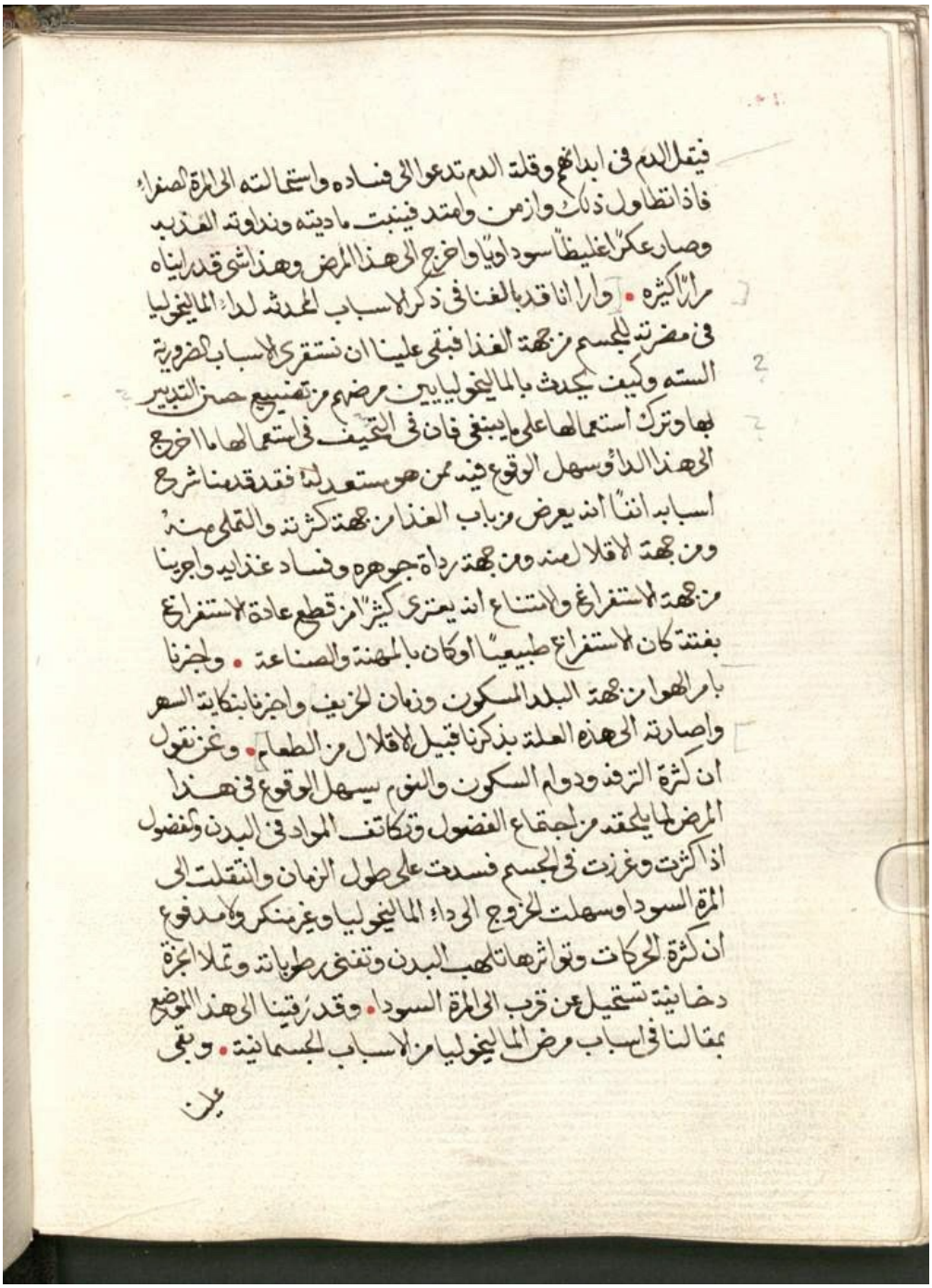

فيقل الدم في ابدانهم وقلة الدم تدعوا الى فساده واستحالته الى المرة الصفراء
فاذا تطاول ذلك وازمن وامتد فينبت ماديته ونداوته العذبه
وصار عكرا غليظا سوداويا واخرج الى هذا المرض وهذا شو قد رايناه
مرارا كثيره • واذا انا قد بالغنا في ذكر الاسباب المحدثه لداء الماليخوليا
في مضرته للجسم من جهة الغذا فبقي علينا ان نستقري الاسباب الضروريه
السته وكيف يحدث بالماليخوليا بين مرضهم من تضييع حسن التدبير
بها وترك استعمالها على ما ينبغي فان في التخفيف في استعمالها ما اخرج
الى هذا الداء وسهل الوقوع فيه ممن هو مستعد له فقد قدمنا شرح
اسبابه اننا اذا يعرض من باب الغذا من جهة كثرته والتملي منه
ومن جهة الاقلال منه ومن جهة رداة جوهره وفساد غذايه واجرينا
من جهة الاستفراغ والامتناع اذا يعتري كثيرا من قطع عادة الاستفراغ
بغتة كان الاستفراغ طبيعيا او كان بالمهنة والصناعة • واجرينا
بامر الهوا من جهة البلد المسكون وزمان الخريف واجرينا بنكاية السهر
واصارته الى هذه العلة بذكرنا قبيل الاقلال من الطعام • ونحن نقول
ان كثرة الترفد ودوام السكون والنوم يسهل الوقوع في هذا
المرض لما يلحقه من اجتماع الفضول وتكاثف المواد في البدن والفضول
اذا كثرت وغرزت في الجسم فسدت على طول الزمان وانتقلت الى
المرة السودا وسهلت الخروج الى داء الماليخوليا وغير منكر ولا مدفوع
ان كثرة الحركات وتواترها تلهب البدن وتفني رطوباته وتملا ابخرة
دخانيه تستحيل عن قرب الى المرة السودا • وقد رقينا الى هذا الموضع
بمقالنا في اسباب مرض الماليخوليا من الاسباب الجسمانيه • وبقي

عن

الصفحة التاسعة من المخطوط

ويقول ابن عمران "إن مرض الماليخوليا حدث يعرفه الناس من الكآبة التي تلبس أصحابه والحزن الذي يغلب عليهم والخوف الملاحق".

ولما يتحدث ابن عمران عن مفعول بخار المرة السوداء يقول "وأَحدَثَ في القلب أحزانا ومخاوف رديئة".

والحد المرضي لذلك هو أن هاته الأعراض لا سبب لها "دوام الكآبة والحزن مما لا يفزع، ولا يدعو للحزن، وباختصار فان الأعراض العامة لأصحاب الماليخوليا من أي الأصناف كان دوام الكآبة والحزن والفزع مما لا يفزع ولا يدعو للفزع وحديث النفس والتفكير الدائم في غير سبب يُوجِب التفكير".

ب* الأعراض العقلية: الخواطر والظنون الفاسدة "وإخطار أشياء بالفكر مما تردع وتهول وليس لها معنى أصلا " "تخيل الأمير تخيلا رديئا" "ويجدون في حواسهم إحساسا بأشياء ليست بشيء".

"فمنهم من يرى صورا شنيعة مذعورة... ومنهم من يتوهَّم أنَّ لا رأس له ... ومنهم من يسمع مثل خرير المياه وقرع الرياح وعصفها وأصوات مهولة في أذنيه ... ومنهم من يشمُّ أراييح منتنة ... ومنهم من يحسُّ أن بدنه خشن ... ومنهم من يظن أن بدنه من خزف... ومنهم من يَفسد مع ذلك ظنه مثل من كان يهرب من المشي تحت السماء خوفا من وقوعها عليه."

" بل أنفسهم الناطقة ترى الأشياء المحبوبة من الإخوان والقرابة بغيضة وتنفر من الأشياء المألوفة... وترى الجميل قبيحا والحميد رديئا والخير شريرا".

"وهذه ملاحظة ثابتة "وهي أن المصابين بالماليخوليا من أشد خَلق الله حرصا لطلب المعالج لهم، يذللون أنفسهم له ويبذلون له الرغائب من أموالهم فإذا هو أتاهم وأجابهم الى المعالجة انقادوا له ولم يطيعوه".

ج* الأعراض البدنية.

"دوام السهر"..."الحزن والهزال" "ضعف الأحوال الطبيعية".. "وزيادة على هذه الأعراض العامة هنالك أعراض خاصة بكلِّ صنف من أصناف الماليخوليا".

2) الأعراض الخاصة بكلِّ صنف

1* "الصنف الذي يعترى خاصة الدماغ وأعراضه هي:

السهر.

وجع الرأس.

كثرة لمع العينين.

اللحظ بالجفون[66].

كثرة الطعام والشره، أو على العكس قلة الطعام التي تؤدي الى هزال وهذا هو شر أنواع الماليخوليا".

2* "الصنف الذي يرتقي من أسفل البدن الى الدماغ، وتوجد فيه "نفس الأعراض سواء بسواء".

"ولكن هذه الأعراض تتباين وتزداد بصفة تدريجية"

3* الصنف الشراسفي:

زيادة على الأعراض العامة المذكورة أعلاه فإنَّ هذا الصنف يختص بالأعراض التالية:

96.

من المالنخوليا والصنف المترقى من اسفل البدن الى الدماغ اذا عرض كثير
الخفا والاستتار لا يكاد يابه له يخشى من الاطبا الجهتين. احدهما ولا يظهر
اختلاف اخلاق الناس في اصل طباعهم وان الخبرة باخلاق الناس
واحدا واحدا غير منكر الوقوف عليه الا على طول المصاحبة وكثرة المعاشرة
بعد ان يكون المطبب كثير التفقد والتامل والمعرفة باخلاق الناس
ومزاجهم وهياتهم فان الخبرة بالحال الطبيعية تعين في تعرف المريض
والدرك له في باب العلاج معونة ليست باليسيرة فان الطبيب اذا
عرف اخلاق الانسان وهو صحيح قدر ان يعرف نزول هذا الداء به
بسرعة ويفهم مقدار تمكنه منه ومقدار ما بلغ من تمكنه في نفسه و
بدنه. ومثال ذلك ان انسانا لو عرفناه بالطبع حرقا سحيقا متهورا
كثير الكلام سريع الغضب ثم رايناه قد سكن وصمت وطال سكونه
وابطا غضبه. دلنا ذلك منه على فساد شجايا نفسه ومرض نفسه
وحلول هذا الداء به وكذلك لو كان بطي الجواب سكينا جبانا
ثم رايناه اسرع الجواب وهزا في الكلام واظهر شجاعة واقداما علمنا
على المكان انه قد اصيب بهذا المرض. وقد وجدنا روفس الطبيب
الواضع لكتاب المالنخوليا اكثر في المقالة الاولى من كتابه من ذكر الاعراض
والاحداث التي يصيب اصحاب المالنخوليا حتى انه بعد ان طال
الكلام واكثر الاطناب فيما يعرض لواحد واحد منهم قال لما قطعه
فقد اثبتنا في مقالتنا هذه من ذكر الاعراض التي تعرض لاصحاب المالنخوليا
على ما ان احسن القارى لكتابنا فهمها قدر ان يفهم كل عارض يعرض
لاصحاب هذا الداء مما لم نذكره في هذا الكتاب فدل الحكيم روفس

الصفحة 14 من مخطوط إسحاق ابن عمران

"تزقق وتمدد في البطون من الرياح النافخة السوداوية".

"امتلاء أو تزقق في ظاهر بطونهم".
"حيرة وثقلا في رؤوسهم".
"مسك الزبل في الأمعاء".
"كآبة وفتور ومحبة للخلوة والظلمة".
"البعد عن الناس".
"ومنهم من يأخذه النوم".
"ومنهم من يَكْثر بكاؤُه ومنهم من يكثر ضحكه".
"ومنهم من يحب الاستراحة الى المواضع القاصية الفسيحة ويحب ركوب الخيل والتنزه والبساتين".

ويعطي ابن عمران بعد ذلك دراسة مفصَّلة لهذه الأعراض حتى يحلِّل أسبابها الحيوية وهو ما نسميه اليوم علم الفيزيوباتولوجيا[67] ، وذلك بناء على نظرية الأخلاط الأربعة.

كما نلاحظ مبدئيًّا وضوح الفكرة ودقَّة الملاحظة وسعة المعرفة، الأمر الذي مكَّن ابن عمران من تقديم بحث، يعتبر تحفة أثرية في الوصف السَّريري وهذا لعَمْري أكبر دليل على مهارته وتمكنه من صناعته.

7- أصناف سريرية خاصة

وينهي ابن عمران مقالته الأولى بذكر صنف سريري خاص وهو انتقال داء الصرع الى الماليخوليا فيقول: "إنا رأينا جماعة ممن بهم داء الماليخوليا انتقلوا إلى الإبلمسيا[68] ، وهو الصرع ورأينا جماعة ممن بهم الابلمسيا صاروا إلى الماليخوليا كما رأينا جماعة من المجذومين انتقلوا إلى الماليخوليا وكل هؤلاء لم يبرؤوا من أمراضهم".

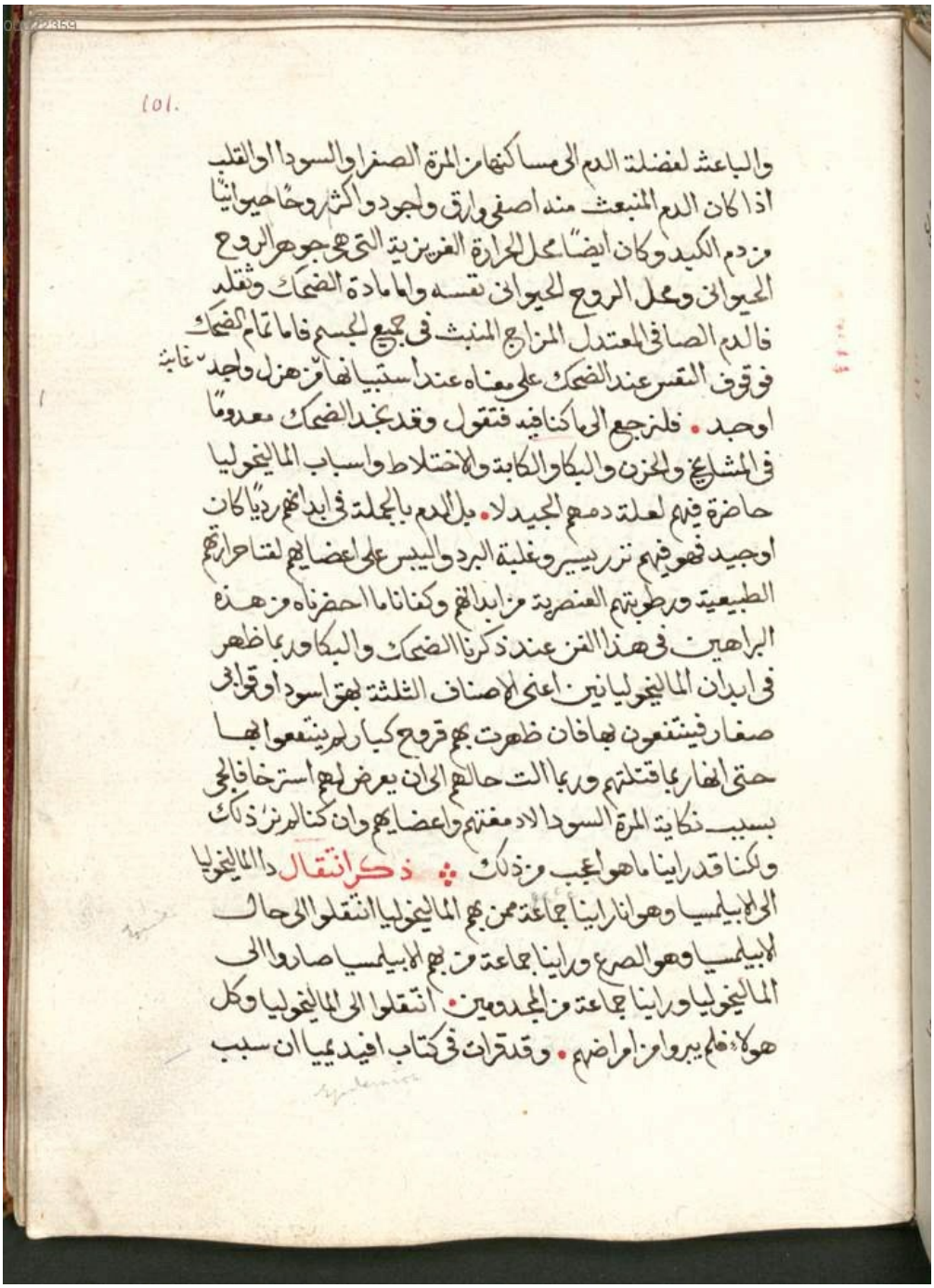

الصفحة 24 من المخطوط

ووصف ابن عمران داء الصرع كما يلي "فقدان الحس" بطلان الحركة الإرادية .. ذهاب العقل وفساد قواه المدبرة الثلاثة ... ويزيد على ذلك بلية وهي أعظم من ذلك كله وهو حدوث الداء المسمى التشنج[69] .. ويحلل الروح الحيواني ليقع سيلان المني أو خروج البراز والبول بغير إرادة".

وأضاف ابن عمران : "لذلك سميت الحمقى والمرض العظيم ... المرض الإلهي الصرع

الجنون".
وهكذا تنتهي المقالة الأولى.

IV-2-و. تعاليقنا حول المقالة الأولى

حين نستعرض عناصر هذه المقالة ومحتوياتها يمكننا أن نستخلص ما يلي:

1) أن الأسباب التي دفعت ابن عمران لكتابة هذه المقالة هي دوافع إنسانية "تتمثَّل في تقديم عمل صالح للبشرية" من ناحية المحتوى ودوافع تعليمية من ناحية الشكل "علم يعم نفعه وتتم فائدته".

وبقدر ما تكون الفائدة أعم بقدر ما يكون العمل أصلح وصاحبه أهل للاحترام والتقدير.

2) من الناحية المنهجية، حسب ابن عمران، "على كلِّ من يُقبل على إعداد مثل هذه الدراسات أن يكون تقديمه وجيزا ومتكاملا".

3) إن احترام العلماء القدامى والسابقين، ضروري لمتابعة ومواصلة الطريق الذي شرعوا في تسطير معالمه.

4) ومن الضروري أيضا اتباع طريقة منهجية مرتَّبة ومسطَّرة حتى نتلافى السهو والنسيان. هذا وقدم ابن عمران هيكلا صالحا لدراسة كل الأمراض يحتوي على:

- معرفة آنية المرض وهل له وجود ومقرٌّ.
- معرفة ماهيته وحدّه.
- معرفة كيفيّته.
- معرفة سببه.

وهي المحاور التي ترتكز عليها الدراسات الطبية في يومنا الحاضر.

5) لم ينس ابن عمران من أسباب المرض شيئا فكلّ الأسباب التي نعرفها اليوم تدخل في الإطار الذي حدده ابن عمران في ثلاثة عناصر.

1- أسباب تكوينية خلقية.
2- أسباب جسمية مكتسبة.
3- أسباب نفسية كالأحداث المؤلمة.

6) قدم ابن عمران وصفا في غاية من الغنى والدقة بالنسبة لعصره رغم أنه ارتكز على نظرية الأخلاط الأربعة فيما يخص التحليل الحيوي المرضي.

7) أكد ابن عمران على أهمية التجسيد الذي يحدث في الماليخوليا.

إنه حقا الاكتئاب الماليخولاني، مرض داخلي جسمي إما بسيط وإما مركب، يدخل في إطار النفاس الهوسي الاكتئابي الذي يتبينه الكاتب بوضوح.

كما تحدث عن الحالات الاكتئابية الناتجة عن الأمراض الجسدية المختلفة خاصة أمراض الجهاز الهضمي.

هذا مع العلم أن الحالات الاكتئابية الكثيرة المشاهدة اليوم في المغرب العربي وفي أوروبا هي الاكتئابات المقنعة بمظاهر جسدية وأوصاف سريرية عضوية.

8) لقد تعرض ابن عمران الى أهمية الأحداث النفسية كالحزن لفقد محبوب ما والقلق الشديد في اندلاع المرض وهذان العنصران يمثلان المحور الأساسيّ الذي يرتكز عليه التفسير السيكوباتولوجي العصري لمرض الاكتئاب بالخصوص في شكله العصابي حسبما جاء في أغلب مدارس التحليل النفسي.

9) هذا ونود أن نشير الى الأصناف السريرية التالية:

أ* الصنف الذي يتميز بعدم الحيوية والنشاط وشلل الإرادة والخوف الملاحق والحزن والفزع.

يقول ابن عمران حين يتحدث عن بخار المرَّة السوداء في هذا الصنف "واكتسب العقل خواطر وظنون فاسدة وتخيل الأمور تخيلا رديئا وأحدث في القلب أحزانا ومخاوف رديئة هائلة واتصل بالبدن لمتابعة النفس بالضرر ودوام السهر والهزال والحزن وأضعف الأحوال الطبيعية "وهذا الصنف متقارب مع ما نسميه بالاكتئاب الذهولي (Formes stuporeuses).

ب* الصنف القلقي (Formes anxieuses)

وهو يتصف بشدة الحصر والتوتر.

يقول ابن عمران "وحديث النفس والتفكر الدائم بغير سبب يوجب التفكُّر وإخطار أشياء بالفكر مما تردع وتهول وليست لها معنى أصلا. وهذا الصنف مصحوب بعدم الاستقرار والهيجان أحيانا الذي يؤدي إلى الاختلاط الفكري وحتى الى البرسام الحاد ويكون معه حمى حارة، أكثر مما يعرض في علة البرسام المسمى باليونانية افرانيطس"[70] ، الذي يصفه ابن عمران بكل دقة في نطاق ما نسميه بالذهان الهوسي السوداوي أو الذهان الهوسي الاكتئابي.

ج* الذهان الهوسي السوداوئ.

(psychose maniacodépressive)

يقول ابن عمران "ومثال ذلك أن إنسانا لو عرفناه بالطبع حرقا سحيقا متهورا كثير الكلام سريع الغضب ثم رأيناه سكن وصمت وطال سكوته وأبطأ غضبه ... دلنا ذلك منه على فساد شجايا نفسه ومرض نفسه وحلول هذا الداء به وكذلك لو كان بطيء الجواب سكينا جبانا ثم رأيناه أسرع الجواب وهزأ في الكلام وأظهر شجاعة وإقداما علمنا على المكان أنه قد أصيب بهذا المرض".

د* الأصناف الهلسية (formes hallucinatoires)

يقول ابن عمران "ويجدون في حواسهم أشياء ليست بأشياء فمنهم من يرى بين عينيه صورا شنيعة مذعورة ومنهم من يسمع مثل خرير المياه وقرع الرياح وعصفها وأصوات مهولة في أذنه وطنين لا ينقطع ليلا نهارا وكل ذلك ليس منه شيئا إنما هو حس كاذب ومنهم من يشم أراييح منتنة ومنهم من يبطل ذوقه للأشياء اللذيذة ومنهم من يحس أن بدنه خشن أكثر مما هو ومنهم من يظن أن بدنه من خزف".

ونلاحظ من هذا الوصف الدقيق أن ابن عمران قد استعرض كل الأصناف الهلسية السمعية والبصرية والحسية والباطنية بل ويشير كذلك الى تناذر كوتارد[71] عشرة قرون قبل ميلاد هذا الأخير فيقول "ومنهم من يتوهم أن لا رأس له كمثل ما رأينا قريبا من مدينة القيروان فأثقلنا رأسه بقلنسوة من رصاص وجعلناها على رأسه في محل الخوذة عندئذ صحَّ أنَّ له رأس".

مـــ* الأصناف الهذيانية (formes délirantes).

وهي التي يصحبها اضطراب في المحاكمة والتمييز حتى يرى المريض الأشياء خلافا لما هي عليه. وهي تدور حول مواضيع مؤلمة مفزعة لا أساس لها."وأصحاب هذه العلة إذا تمكنت منهم لم ينكروا من أحوالهم شيئا لزوال مزاج الدماغ الطبيعي السليم وتعقب المزاج العضوي الغريب مكانه".

ويقول ابن عمران في وصف هاته الأصناف "وإخطار أشياءَ بالفكر مما تردع وتهول وليس لها معنى أصلا " وذكر ابن عمران مثالا لذلك ما أصاب الملك ديرقليس "كما أن ديرقليس يرى في مرضه من هذا الداء سودانا يريدون قتله وزمارين وصناجين يضربون ويزهجون في زوايا بيته".

و* وأخيرا تعرض ابن عمران إلى الصنف الشراسفي والذي تجتمع فيه زيادة على الأعراض العامة الأعراض التالية: "تزقق في البطون وتمدد الرياح وربما وجدوا حيرة وثقلا في رؤوسهم ...ومسك الزبل في أمعائهم... ومنهم صنف تلزم به الكآبة والفتور ومحبة الخلوة والظلمة والبعد عن الناس... ومنهم من يأخذه النوم... ومنهم من يكثر بكاؤه ومنهم من يكثر ضحكه.

ز* وفي خاتمة المقالة تعرض بن عمران الى انتقال الماليخوليا الى الابلمسيا التي سماها الفالج والداء الكبير والصرع والمرض الكاهبي ثم وصف الصرع وصفا دقيقا وكلنا يعرف اليوم العلاقة التي توجد بين الصرع والمزاج الهوسي السوداوي.

الاخر يكون على نوايب معلومة فى زيادة القمر ومحاقه وهو صنفان
صنف من المرة السوداء وهو الذى اليه اشرنا عند ذكرنا المالنخوليا
المنتقل الى الابيلسيا الكاين من المرة السوداء واما الصنف الاخر فيكون
من كيموس البلغم ومنه اكثر ما يعرض هذا الداء الا ان جالينوس ذكر
فيه شيئا ظريفا وهو انه قال ان من كان فى الصرع فى امتلاء الهلال
ومبدأ نمو القمر فان المادة التى كان عنها كثير الرطوبة جدا لان الاشيا
الرطبة كلها تزيد بزيادة القمر وتنمو بنموه اما من الانسان فاخلاط
الاربع والدم خاصة والدماغ لرطوبته كل هذه تزيد بزيادة القمر
فاما ما يعرض عنه عند نقصان القمر فان المادة التى كان حدوثه
عنها بارده المزاج قليلة الرطوبة . وكفانا ما خبرنا القول اليه
من هذا الباب فلنقطع مقالتنا هذه لفراغنا فيها مما اردنا ان
نذكره من امراض المالنخوليا والبحث عن اصنافه واعراضه . فلنختم
هذا الكتاب وننتقل الى مقالة اخرى نضع فيها طريقة معالجة
هذا المرض ونستعين بالله . المقالة الثانية من كتاب المالنخوليا

تاليف اسحق ابن عمران المتطبب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالة الثانية من كتاب المالنخوليا

وهى مقالتان فالمقالة الثانية ذات فنين . فن فى طريق العلاج الكلى
الصناعى وفن فى العلاج الجزوى المراسى وضعها فى باب المداواة منها
على طريق الصناعى وطريق العلاج الجزوى معا . هذه المقالة
الثانية ذات الفنين من كتاب المالنخوليا الذى وضعه فى داء المالنخوليا

الصفحة

الأولى من المقالة الثانية

IV-3 الفصل الثالث:
تحليل المقالة الثانية في الماليخوليا

IV-3-أ. المقدمة: فنُّ العلاج.

إنَّ الروح العالية، وسعة المعرفة، والقيم النبيلة التي كان يتصف بها اسحاق بن عمران جعلته يسعى إلى تقديم كتابٍ وجيزٍ ولكنه أعدَّه بغاية الدِّقّة والإتقان ساعيا بذلك إلى النّفع وإفادة أكبر عدد ممكن ممَّن يهتمُّ بهذا الموضوع، يقول ابن عمران "ونتجاوز الإغماض[72] لينفع الله بهذا الكتاب كلَّ من إطّلعه من أهل الصنعة الطبية وأهل المعرفة".

IV-3-ب. قواعد العلاج: فنون العلاج.

يقسِّم ابن عمران فن العلاج إلى علاج كلي صناعي وعلاج جزئي مراسي.

تعريف العلاج:

يعتبر ابن عمران أنَّ العلاج يمثِّل النَّاحية العمليَّة التطبيقيَّة التي يجب المرور بها بعد معرفة وتشخيص هذا الداء إذ يقول "لتَتِمَّ القسمة في تضمنه باب العلم والعمل".

القصد من العلاج:

يقصد ابن عمران من العلاج:

1- اتخاذ الأسباب لإزالة الأعراض الصعبة التي تؤثر بصفة سلبية على صحة المريض.

2- تنقية البدن وإزالة "مادة المرض" وعلى هذين البابين يرتكز الطب الحديث في العلاج إذ يعتبر أنَّ هنالك نوعين من العلاج.

*- العلاج المظهري.

*- العلاج السببي.

أنواع العلاج:

يذكر ابن عمران مختلف الوسائل العلاجية كما يلي:

1- العلاج بالوسائل النفسية.

2- العلاج بالبيئة والمحيط.

3- العلاج بالحمية والتغذية.

4- العلاج بالطرق الفيزيائية.

5- العلاج بالأدوية والعقاقير.

ولم يكتف ابن عمران بذكر هاته العلاجات المختلفة فقط بل وذكر علاج كل صنف من أصناف الماليخوليا على حدة.

IV-3-ج. أنواع العلاج:

1) العلاج بالوسائل النفسية.

1- فنُّ العلاج ومخاطبة المريض.

إنَّ المصاب بالماليخوليا، ككلِّ مريض بشري، يحتاج إلى عقد صلة كلامية وتواصلية بمن حوله، فيجب أن تقام هاته الصلة على أسس صحية متينة تهدف الى التخفيف من حالته ومن ألمه النفساني.

يقول ابن عمران "لمَّا كانت أعراض مرض الماليخوليا النفسية مهولة، وقد بيّنَّاها فيما سلف به القول، وجب أن نقابل الأعراض النفسية بإزالة تلك الظنون الكاذبة والتخيلات الفاسدة والخطرات الرديئة بالألفاظ العقلية اللطيفة والحيل النظرية والنظر[73] المُقنعة مما يزيل ما وقر في النفس وانحبس في الخلد من المعاني الباطلة".

ومن هذه الكلمات نتبيَّن بوضوح واجب مواساة المريض وملاطفته والحديث معه بصفة منطقية مقنعة حتى يتخلَّص من تلك الأحاسيس والتأويلات الكاذبة.

ومن هذا الكلام نتبيَّن أهمية فن مخاطبة المريض النفساني وكيفيَّة الاقتراب منه، ذلك الاقتراب الذي يرمي إلى الاتصال وربط العلاقة معه ثم الوصول إلى إقناعه حتى يتخلص من تأويلاته الخاطئة.

2- استعمال الموسيقى.

ويستعين ابن عمران كذلك بالموسيقى، من بين طرق العلاج، فيقول عند ذكره الموسيقى وعلَّة استعمالها "لتزيل ما وقر في النفس وانحبس في الخلد من المعاني الباطلة التي لا حقيقة لها بحركة الموسيقى وسقي الشراب".

ونلاحظ في هذا القول، خلافا لما ذكره ابن عمران سابقا في تأثير الشراب السيء على البدن وأنه أحد الأسباب التي تساهم في إحداث المرض نراه خلافا لذلك كله ينصح بعض المرضى بتناوله لعلَّه ينسيهم بعض أحزانهم.

وقد نفى أبو بكر الرازي هذا المفعول وذلك قبل أن يعلم ما أثبته العلم الحديث من أن مضارَّه أكثر من منافعه خاصة وقد توفَّر لدينا اليوم العديد من الأدوية التي تغنينا عن الخمر.

أما الموسيقى والأنغام فهي تملك من التأثير ما يجعلها تنقل الناس "من الغضب الى الرضا ومن الحزن الى الفرح ومن الكزازة الى الاسترسال ومن القطوب الى البشاشة ومن البخل الى الجود ومن الجبن الى الشجاعة".

2) العلاج بالبيئة والمحيط.

1- العلاج بالأسفار والتنزه.

إن الانتقال والسفر بين الأزهار والمروج والسهول والجبال يملك من السحر والجمال ما يلفت إحساس المصاب الى إحالة النظر فيها والتمتُّع برونقها وجمالها.

طبيعة ساحرة، في كل مكان منظر جديد ساحر، وفي كل لحظة تسمع خرير المياه الهادئ وزقزقة العصافير المختلفة...

سحر وجمال وخلقة بديعة وألوان خلابة وأصوات لطيفة ولوحات متنوعة كل ذلك يملك أن ينزع بعض المصابين عن أحزانهم ويفتح أمامهم آفاقا جديدة مشرقة كفلق الصبح.

"ومنهم من يحب الاستراحة في الأماكن القاصية الفسيحة ويحب ركوب الخيل والتنزه في البساتين والسماع ومحادثة الناس"...

"غير أن هذه الحالات ليست عامة لكلِّ المصابين ولكنه من الأكيد في كل حالة هو أن يحرصوا على أن ينتقلوا من المواضع التي وقعت فيها الإصابة "وكأن ابن عمران يشير الى ضرورة الابتعاد عن الوسط المرضي العائلي والاجتماعي.

2- تغيير المناخ.

"والبلد المحمود سكناه هو البلد في سمت[74] المشرق لاعتدال هوائه واستواء مزاج تلك الناحية في جميع كيفياته ودور التغيير هو دور إيجابي هامّ لأنه يخرج المريض عن المألوف ويخرجه من إطاره الأرضي حتى يستسهل الخروج من اطاره المرضي ويتمكَّن من استرجاع صلته بالوسط الخارجي فيسترجع شخصيته.

3- اتجاه أبواب المنزل.

"وينبغي أن تكون أبواب المنزل نحو مهب ريح الصَّبا[75] وأن تكون الأبواب منحرفة قليلا إلى الشمال" وهذا الاتجاه هو ما نسميه اليوم الاتجاه الشرقي وهو الذي نوجه اليه اليوم بناءاتنا وخيامنا لما يملك من رطوبة مريحة ومن نور الشمس المطهر للبيوت ومن جمال الرؤية وصفاء التنفس.

3) العلاج بالتغذية والحمية:

1- حسب الفصول:

ينصح ابن عمران بتكييف كمية ونوع الغذاء حسب الفصول فيقول "يزاد في القدر الغذاء قليلا في الشتاء وينقص منه في الصيف ويزاد في تدبيره قليلا ويبقى على حاله في الربيع والخريف".

2- الصحة العامة

يؤكد ابن عمران على الاعتناء بالصحة العامة ومراقبة توازن الأسباب الاضطرارية الستة وهي:

العمل والحركة.
السكون والنوم واليقظة.
والطعام والشراب.
الهوى المتنسم والمستنشق.

الاستفراغ والامتناع.
الأحداث النفسية.

3- إعداد الأطعمة.

ويعتبر ابن عمران أنَّ أحسن الأطعمة للمصابين بمرض الماليخوليا، هي التي تجتمع فيها الرطوبة الطبيعية مثل لحم الضأن والخرفان والفراريج والحجل والقنفد والسمك الصغير ورطوبة الصنعة والإعداد كأن تطبخ بالماء والملح اليسير...

4- في حالة عسر الهضم.

استعمال القليل من "ماء الحمص وماء الكراث وماء النعناع يكسب الطبيخ طيبا وحِدّة يسيرة تعين على أسباب الهضم.

5- البقول والخضر.

أما الخضر المنصوح استعمالها فهي التي تملك من الرطوبة ما يجعلها تعين على الهضم وعلى انحدار الزبل.

"أما البقول النافعة فهي "ما كانت فيها رطوبة زائدة وقوة هاضمة مخدرة ".

وتعرض ابن عمران بكلِّ دقَّة الى العديد من الأطعمة وبيَّن علَّة استعمالها.

4) العلاج بالوسائل الفيزيائية:

يقول ابن عمران "والثالث أن يورد عليهم في كل يوم الاستنقاع في الماء العذب الحار أو الماء البارد في صميم الصيف والإدِّهان بعد التنشيف بالمناديل بالأدهان المفترة الكثيرة الرطوبة.

وهكذا يكون العلاج الفيزيائي :

- استنقاع في الماء العذب.
- تجفف بالمناديل.
- وفي مرحلة ثالثة التمسيد بالأدهان المفترة التي سنتولى ذكرها في باب العلاج بالعقاقير.

5) العلاج بالأدوية والعقاقير:

لم تكن توجد في عهد ابن عمران صيدليات مختصة في صناعة الأدوية، بل كان الطبيب هو الذي يقوم بإعداد الأدوية والعقاقير، وهو الوحيد الذي يعرف كيفية إعدادها ونسبة الأعشاب والعقاقير فيها.

فبقدر ما يكون الطبيب حاذقا بفن التشخيص وفنّ العلاج وتركيب الأدوية بقدر ما يكون علاجه نافعا ومفيدا لذلك قال ابن عمران: "فإنّ الحذق بهذه الصناعة، أعني صناعة تركيب الأدوية، عظيم الغنى في الطب".

ولم يكن ابن عمران غافلا عن مفعول الأدوية الذي إمَّا أن يكون نافعا مفيدا وإمَّا أن يكون مضرّا بل ويضع ابن عمران مقياسا تاريخيا للمضرّة والمنفعة.

فيقول "إن كان الضرر الذي يخاف في الشيء الذي يتعالج به مساو لمنفعته المرجوة منه، أو كان ضرره أكبر من نفعه فينبغي على الطبيب أن يتجنب استعماله أصلا. فما حاجته إلى شيء ضرُّه مثل نفعه، أو ضرره أكثر من نفعه، استعماله ذلك جهل وخطأ".[76]

يا لها من قاعدة جدير بها أن تُطَرَّز بأحرف ذهبية وتوضع في صادرة معامل الأدوية وفي واجهة الكليات.

ويعلل ابن عمران كل هذا بقوله " إن كل دواء إذا لم يتوجَّه الى معالجة مرض فهو قادر على إيجاد مرض آخر"

حكمة أخرى من الجدير أن ينظر لها كلّ من يملك الحق في تحرير وصفة...

وكم يجدر بنا اليوم أن نتبين المعاني الحكيمة والمقاصد السامية التي كان يرمز اليها ابن عمران من خلال هاته الكلمات.

وأما الأدوية والعقاقير التي كان يستعملها ابن عمران في علاج هذا الداء فهي تقدم في عدة أشكال وهي:

1- البنادق.
2- أدوية تسقى لإسهال المرة السوداء.
3- الجوارشن أو الجوارش.
4- السفوف.
5- دواء المسك.
6- الأيارج.
7- الدرور.
8- البسامح.
9- الساقح.
10- الأشياف.
11- النطول.
12- الأدهان التي تحتمل في المقعدة.
13- الأدهان البدنية.

الى ملى البطن بالزبل والرياح وهاتان خلتان مضرتان جدا بالصنف
الشراسيفي من صنوف المالنخوليا الا ان في البقول خلة واحدة تحمد
وهي انها كلها تلين البطن وتسرع الهضم • وهذه خلة تنترق تلك
المضار وتعفي عليها الا انه اذا كان الشي المتداوى به مزدوا كان
او غذا او غيرهما من ساير الاسباب التي تزيد على البدن المرضي برجى
منه نفع ما ويخاف منه ضرر ما فينبغي ان يقاس النفع بالضرر فان
كان النفع ثلاثة اجزا والضرر جزو واحد فينبغي ان يقدم الطبيب
على استعمالها واثقا مطمئنا لانه قادر ان يتلافا الضرر بعد زوال
العلة وبروها باسهل السعي • واما ان كان الضرر الذي يخاف
في الشي الذي يتعالج به مساويا لمنفعته المرجوه منه او كان ضرره اكثر
من نفعه فينبغي للطبيب ان يهرب من استعماله اصلا فما حاجته الى شي
ضرره مثل نفعه او ضرره اكثر من نفعه استعماله ذلك جهل وخطاء
والبقول النافعة لاصحاب المالنخوليا ما كانت فيه رطوبة زايدة
او قوة لداعدها ضمد محدده • اما الرطوبة فمثل السرمق والخس والبقلة
اليمانية والاسفاناخ والقرع والخبازى والملوكية وبقلة الرجلة واما
فضرب فيه كيفية محدده وهاضمه بان يغذوا ان يكون فيه بورقيه
او حريفيه او جامعه للامرين اما البورقية فمثل السلق وبقل الدرل
واما الحريفة مثل البصل والكراث والخرف والخندقوقي والجرجير
والسبت والرازيانج والنعنع والفودنج والنمام فان هذه اذا استعمل
منها شي في الطبيخ او في الطعام اعانت معونة ليست باليسيرة في
الهضم والاحدار • ومن البقول ما يجمع امرين من الملوحه والحرافة مثل

ن

الصفحة 33 من المخطوط

1- البنادق[77] .

هي أدوية في شكل كروي تزن حوالي أربعة مثاقيل[78] وتتركب من عدة أعشاب وهي تهدف الى إسهال المرة السوداء.

وتتركب هذه البنادق أساسا من:

- الهيليج الهندي[79] Myrobolan indien
- الهيليج الكابلي[80] Myrobalan chébule
- الأفتيمون[81] Epithyme
- السقمونيا[82] Convolvulus scammonia

وتدق هذه الأعشاب وتلث[83] بزيت نباتي مثل:

- زيت اللوز الحلو[84] Amande douce
- دهن حب القرع[85] Cucurbita pépo.
- دهن السمسم[86]
- دهن البنفسج[87]

ثم يتم خلطها بعقيد ريحاني مثل:

- العسل[88].
- زبيب[89] منزوع العجم.
- عصير البنفسج Sirop de violettes .
- الشيح[90].

وقد تحتوي بعض هذه البنادق أدوية أخرى مثل:

- غاريقون[91].
- بسفايح[92].

وذكر ابن عمران النسبة الدقيقة لكلِّ عشب في كل صنف من أصناف البنادق.

وتشرب هاته البنادق كلّ يومين أو كلَّ ثلاثة أيام بصفة مخصَّصة لكلِّ صنف من أصناف الماليخوليا وتسقى في أوقات اعتنى ابن عمران بتعيينها ... وفي كل الحالات لا يجوز استعمال أكثر من ثلاثين بندقة.

وعندما يكون جسم المريض خشنا كأجسام الفلاحين والعمال تشرب البنادق مع ماء السقمونيا.

2- الأدوية التي تسقى لإسهال المرة

وهاته الأدوية مركبة أساسا من:

الهيليلج الأسود الهندي	مثقالين[93].
ماء الشاهترج[94]	ثلثي رطل.
سكر	عشرة دراهم[95].

سقمونيا درهم واحد.

3- الجوارشن.

هي أدوية حلوة تؤكل، وهي تشبه ما نسميه اليوم بالمعجون، وتتكون أساسا من الهيليلج ومن الغلال كالاجاص والسفرجل ومن الأعشاب:

لب الخيار[96] 100 درهم.

ترنجبين[97] 100 درهم.

السيسبتان[98] 100 درهم.

وعناب[99] سمان رطل.

ورق البنفسج 50 درهما.

وأصل السوسن[100] 50 درهما.

بزر الخطمي[101] 33 درهما.

والملوخيا[102] 33 درهما.

وهيليلج هندي 300 درهم.

ويقطع الدواء المعقود الى قطع تزن أربعة مثاقيل أو تلف في ورق الأترج وتشرب قطعة كل يوم.

4- السفوف

وهي أدوية تستعمل لعلاج مبادئ الماليخوليا وحديث النفس والوسواس والتوحش والخفقان وتتمثل في مسحوق يتركب من :

هيليلج هندي وزن عشرة دراهم.

الهيليلج الكابلي وزن عشرة دراهم.

الهيليلج الأصفر وزن عشرة دراهم.

التربد الأبيض[103] وزن 12 درهم.

الغارقون 8 دراهم.

سقمونيا 3 دراهم.

آنيسون[104] 3 دراهم.

كهرباء[105] 3 دراهم.

بسد محروق[106] 3 دراهم.

عود[107] 3 دراهم.

حب كزبرة[108] 3 دراهم.

لؤلؤ الكحل[109] 3 دراهم.
ورق الورد[110] 3 دراهم.
طباشير[111] 3 دراهم.
مصطكي[112] 3 دراهم.
زرنباد[113] درهمان.
درونج[114] درهمان.
سكر[115] بوزن جميع الأدوية.
ويدق ذلك وينخل نخلا ويخلط ويستف منه وزن خمسة دراهم ويشرب بماء.

5- دواء المسك:
وهو دواء صالح لضعف القلب والفزع والرعب الدائم والرجف والخفقان ويؤخذ من:
الزرنباد 5 دراهم.
الدرونج 5 دراهم.
ورد أحمر 7 دراهم.
طباشير 4 دراهم.
بزر الحبق القرنفلي[116] 3 دراهم.
بزر الباذروج[117] 3 دراهم.
مصطكي[118] 3 دراهم.
النعنع[119] 3 دراهم.
ويعجن بعسل منزوع الرغوة مثل وزن الأدوية ويدفن في الشعير ستة أشهر ...

6- الأيارج = الأيارجة
هي من نوع الأدوية المشروبة المسهلة، أعدها جالينوس، تنقي الأمعاء والمعدة من الفواضل ومن المرة السوداء وتحلل الرياح النافخة الممددة للبطون والجنوب وهي تتركب من عدة أعشاب نذكر منها.

* الفودنج النهري[120].
* الجعدة[121].
* الحاشا[122].
* الأسطوخودس[123].

* الغاريقون[124].
* دار صيني[125].
* سنبل وعيدان البلسان[126].
* حب البلسان.
* مصطكي[127].
* فقاع أدخر[128]. الخ...
ويدق ذلك كله وينخل ويرفع وهو درور ويشرب مثل الأيارج.

7- السرور:
وهو دواء يقوم مقام الأيارج يخرج المرة السوداء بالإسهال ويؤخذ من الأيارج المركب على نسخة جالينوس ويتركب أساسا من:
أفتيمون: 30 درهما.
ورد أحمر: 5 دراهم.
ماء البنفسج:
والشربة منه مثقالين أو ثلاثة

8- البسامح:
هي أدوية تحتمل في المقعدة وهي صالحة لاسهال البطن واستخراج الزبل وذلك خاصة في العلة الشراسفية وهي تتركب من:
علك البطم[129] 10 دراهم.
عسل 10 دراهم.
مرار البقر 10 دراهم.
الحصحص[130] 10 دراهم.
الخربق الأسود[131] 7 دراهم.
شحم الحنظل[132] درهمان.
سقمونيا 5 دراهم.
نطرون[133]. 5 دراهم.
ويحتمل بعد الطعام

9- الساقح:
وهو كذلك دواء يخرج الزبل والمرة السوداء من الأسفل ويحلل الرياح النافخة السوداوية

وهي تعد كالبسامح ويضاف اليها:

الخربق الأسود[134].

والبلوط[135].

10- الأشياف:

هي نوع آخر من الأدوية التي تحتمل في المقعدة تصلح لنفس الأغراض.

11- النطول[136]:

وهو دواء يصب فوق الرأس في الصنف السبعي من الماليخوليا والفرينتيس ويؤخذ من:

غلاف الخشخاش	10 أغلفة.
البابونج[137]	قبضة.
إكليل الملك[138]	5 دراهم.
ورق البنفسج[139]	5 دراهم.
اللينوفر[140]	10 دراهم.
ورد أحمر	5 دراهم.

الخ....

12- الأدهان التي تحتمل في المقعدة:

هذه الادهان تحقن في المقعدة لإسهال المرة السوداء وإخراج الرياح تؤخذ من:

الخربق	رطل.
شحم الحنظل	رطل.
السكبينج الأصبهاني[141]	رطل.
حسك[142]	¾ الرطل.
قنطريون[143]	¾ الرطل.

ثم يحتقن منه.

13- الأدهان البدنية:

الأدهان هي زيوت نباتية تستعمل لطلاء الجسم أو بعض أعضائه. وكلّها تُلين أبدان أصحاب الماليخوليا وتفتِّرهم وتجعلهم يشعرون بالراحة.

ويذكر بن عمران عدَّة أدهان نباتية تعدُّ من:

شحم الحنظل.

أو دهن اللوز الحلو.
أو دهن البنفسج.
أو دهن السمسم.
أو دهن حب القرع.
الخ...

ويذكر ابن عمران عدة أدوية وعدة تراكيب وعدة متنوعات في الصنف الواحد ونستطيع بإيجاز تصنيف هاته الأدوية كما يلي:

1- الأدوية الفموية.
البنادق.
المحلول السكري.
المعجون أو الجوارشن.
السفوف.
الساقح.
المسك.
الأيارج.
الدرور.

2- الأدوية التي تحتمل في المقعدة:
البسامح.
الأشياف.
الأدهان.

3- الأدوية ذات الاستعمال الخارجي
الأدهان.
النطول.

هذا وقد ذكر ابن عمران كلَّ أشكال الأدوية المعروفة في عصره. فصنفها حسب الفصول والأصناف المرضية ونوعية الأبدان.

وإن هذا البحث ليثير كل التقدير والإعجاب إذ أن دراسة ابن عمران تبدو بكل وضوح متكاملة متوازنة في البنيان والشرح والتركيب.

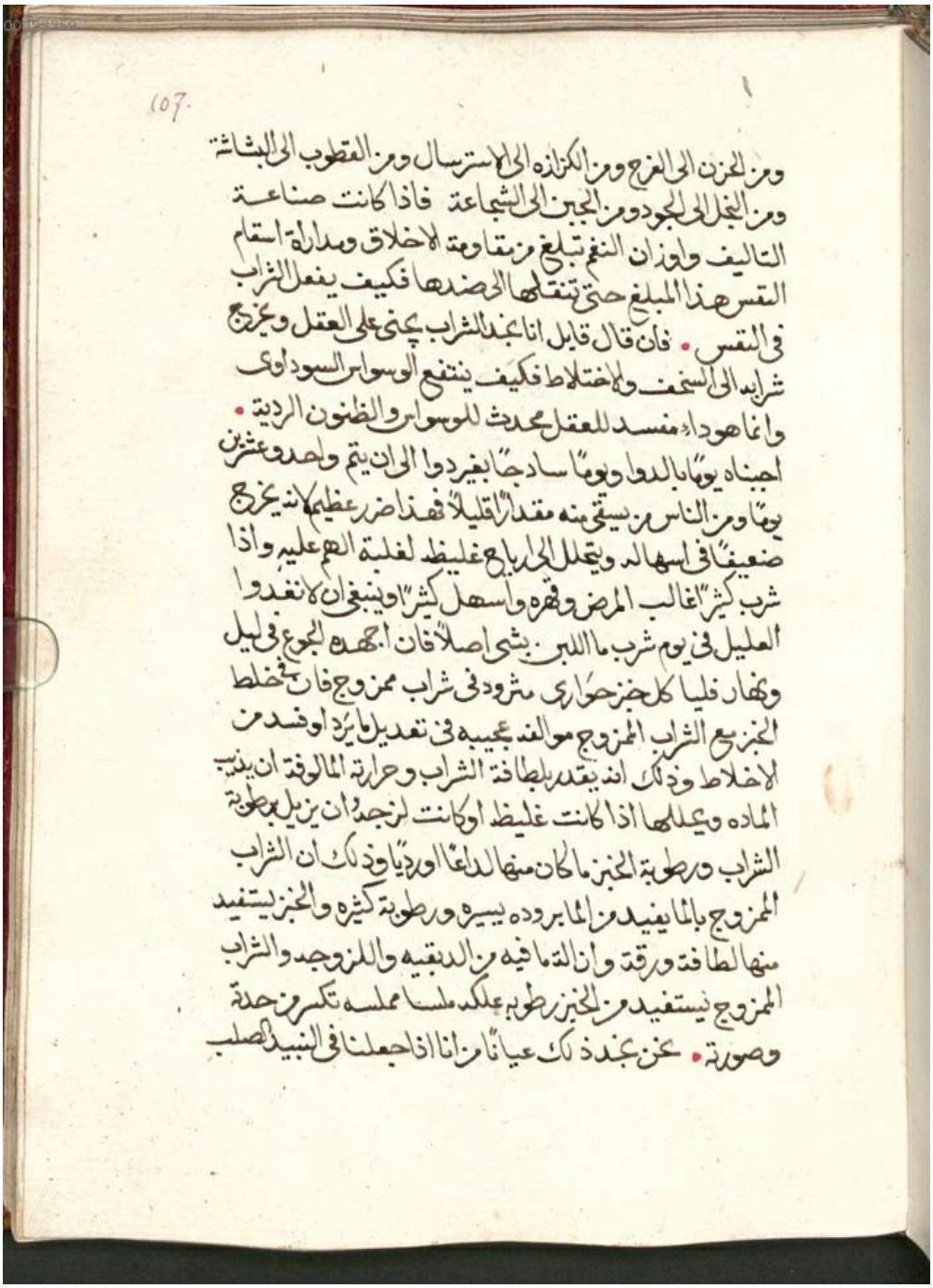

107.

ومن الحزن الى الفرح ومن الكزازه الى الاسترسال ومن القطوب الى البشاشة
ومن البخل الى الجود ومن الجبن الى الشجاعة فاذا كانت صناعة
التاليف واوزان النغم تبلغ من مقاومة الاخلاق ومدارة استقام
النفس هذا المبلغ حتى تنقلها الى ضدها فكيف يفعل الشراب
في النفس • فان قال قايل انا نجد الشراب يجني على العقل ويخرج
شرايه الى السخف والاختلاط فكيف ينتفع الوسواس السوداوي
وانما هو داء مفسد للعقل محدث للوسواس والظنون الردية •
اجبناه بانا وجدنا قوما ساذجا يغيرون الى ان يتم واحد وعشرين
يوما ومن الناس من يستقي منه مقدارا قليلا فهذا ضرر عظيم لانه يخرج
ضعيفا في اسهاله ويتحلل الى رياح غليظة لغلبة الهم عليه واذا
شرب كثيرا غالب المرض وقهره واسهل كثيرا وينبغي ان لا نغدوا
العليل في يوم شرب ما اللبن بشيء اصلا فان اجهده الجوع في ليل
ونهار فليأكل خبز حواري مثرود في شراب ممزوج فان في خلط
الخبز مع الشراب الممزوج موالفة عجيبة في تعديل ما يرد او فسد من
الاخلاط وذلك انه يقدر بلطافة الشراب وحرارته المالوفة ان يذيب
الماده ويحللها اذا كانت غليظة او كانت لزجة وان يزيل برطوبة
الشراب ورطوبة الخبز ما كان منها لذاعا او ردياوذلك ان الشراب
الممزوج بالماء يفيد من المابروده يسيره ورطوبة كثيره والخبز يستفيد
منها لطافة ورقة وان التماقيه من الدبقيه واللزوجة والشراب
الممزوج يستفيد من الخبز رطوبة علكة ملساء مملسة تكسر من حدة
وصورة • نحن نجد ذلك عيانا من انا اذا جعلنا في النبيذ الصلب

الصفحة 37 من المخطوط

IV-4- الفصل الرابع

دراسة تحليلية عامة

بعد دراسة الفقرات التي جاءت في مقالة ابن عمران في الماليخوليا وتحليلها ومقارنة ما نعلمه اليوم عن هذا المرض، والأوصاف والأصناف السريرية التي ذكرها ابن عمران في عصره

يمكننا حينئذ تحديد التغيير الذي حصل واستخلاص عدة استنتاجات تلفت الانتباه وتسترعي الاهتمام وذلك في إطار ما نسميه بالطب النفسي عبر الحضارات.

1) من حيث الترتيب والتبويب

تبدو دراسة ابن عمران نموذجية في الشكل والمحتوى.

وهذا يرجع الى أن الكاتب التزم بهيكل دراسي واضح يبدو بالنسبة إلى ذلك العصر في غاية الدقة والنظام وإلى يومنا هذا ليس لنا ما نضيف إليه أو ما نطرح منه.

1 – التعريف:

تعريف الداء يمكننا من تحديد مطلع البداية وهو ضروري كي نتجنب الاختلاف والخوض في المناقشات البيزنطية وإتلاف الجهود.

فتعريف المنطلق ضروري لكل دراسة اجتماعية أو طبية أو غيرها.

2 – الحدود:

ومن الضروري أيضا تحديد حقل البحث الأمر الذي يمكننا من الرؤية الواضحة المركزة العلمية للأشياء.

3 – الأسباب:

أما دراسة الأسباب، فهي المرحلة الأولى للبحث عن المعلومات المستنتجة من التعريف للداء وتحديد مقره وملاحظة عوامله.

4 – الوصف السريري:

هي مرحلة وصف الأعراض وإعادة تصنيفها وتصفيفها.

5 – العلاج:

العلاج هو الناحية العملية الأساسية بعد كل دراسة طبية. ذلك أن كل علم لا يرتقي إلى التطبيق العملي يبقى علما نظريا وبالتالي غير صالح.

2) من الناحية السريرية:

لقد استطاع ابن عمران وصف كل الحالات الاكتئابية وكل الأصناف السريرية لحالات السوداء المعروفة اليوم لدينا. فكما عالج الأصناف البسيطة تمكن من دراسة الأصناف المعقدة، وعلى قدم المساواة تحدث عن النفاسات الهوسية السوداوية وعن الاكتئابات التي تبدو أساسا ارتكاسية للصدمات والإصابات العاطفية والحسية وللإصابات المرضية البدنية.

ولكنه لم يذكر الحالات الاكتئابية الارتكاسية بالذات، كما نعرفها في يومنا هذا. وهذا قد يرجع إلى أن عصر ابن عمران كان يختص بمناخ اجتماعي وثقافي مسلم بما فيه من أسباب الأمن والطمأنينة المستمدة من القاعدة الصلبة الدينية التي يرتكز عليها المجتمع في ذلك العصر.

فالإنسان في عصرنا الحاضر، يتعرض إلى ضغوطات عديدة ومتكررة، جرَّاء التطور السريع في النمط الاجتماعي والتحول الثقافي الواسع النطاق. في حين كان المجتمع الذي كان

يعيش فيه ابن عمران يبدو أكثر استقرارا والإطار الثقافي والاجتماعي أكثر بساطة وأقل تعقيدا.

هذا ولم يتحدّث ابن عمران عن الاكتئابات الانهاكية[144] وهو مصطلح جديد، ولا عن الاكتئابات العصابية[145] فمصطلح "عصاب" كما نعرفه اليوم لم يكن مُشَخَّصا يومئذ بل وربما لا يدخل في المخزون النفسي العاطفي والثقافي الذي تختص به الخلية العائلية في عصرنا هذا.

وبالتالي فإن عصر ابن عمران كان يمتاز بإطاره الثقافي والاجتماعي الخاص الذي يفسر وحده عدم وجود الاكتئابات العصابية والاكتئابات الانتهاكية.

وهذا الاطار يدخل في خصائص المجتمعات الإسلامية وهو يتميزبـــ:

1) الإيمان المركز بالله.

إن الايمان القوي يجعل أهله في مأمن من الصدمات النفسية والعاطفية والانفعالية لما فيه من حافز للصبر والأمل والثقة والاطمئنان كما يوصي نبي الاسلام عليه السلام "عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأِحَدٍ إِلاَّ للْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ". رواه مسلم عن أبي يحي.

إن هاته العقيدة الراسخة التي تُحصِّن المؤمن وتمكِّنه من الصمود أمام الصعوبات والابتلاءات تمثل إحدى الوجهات العملية للإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرِّه، مما يدفع المسلم الى الرضا بالمكتوب.

إذ أن القسمة من الله، وعلى المؤمن أن يرضى بما قسم له ربه فينجو من الرفض والثورة ومن اليأس والبغض والاعتداء.

2) النهي عن التمادي في الحزن.

إن العقيدة الاسلامية لا تسمح لمتبعيها بالاستسلام للحزن والحداد فإن كان لا بد فـــ"لا حزن فوق ثلاث[146]" كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما اليوم وقد انتقضت عرى الاسلام عروة عروة وتفكّك الوازع الديني، وأصبح الناس لا يدركون الحكمة البالغة من هذا النهي الجازم والتي بينها الله تعالى في قوله " **لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**[147]"

3) النهي عن الرهبنة والمغالات في الدين:

إن الاستسلام للعبادة في أركان الزوايا والمساجد وترك العمل والانعزال عن الناس والتواكل على الله والعيش بالصدقات والهدايا يعتبر مغالاة وتطرفا في الدين وجب على المسلم

الابتعاد عنه. إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لَأن يَحْتَطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه[148]".

بل من المفروض أن يسهر المرء على توازن حياته كما جاء في القولة الشهيرة "لا رهبانية في الاسلام[149]".

ومن المفروض أن يسهر المرء على توازن حياته كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم "أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[150].

لذلك فإن المساهمة الفعَّالة في الحياة اليومية للمجتمع والبذل والجهد من صفات المسلم المثالي الذي يستفيد من الحياة بقدر ولا ينسى واجبه الديني كما كان يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "اغتنم خمسا قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك"[151].

4) البعد عن الإفراط في الأكل أو في الجوع:

وكما يقول المثل العربي "حُبّ التناهي هي شطط خير الأمور الوسط"[152] فإن الانكباب الدائم على الأكل يورث أمراضا عديدة.
وكذلك الوصال في الصوم وصيام الدهر كله فإنه يحطم الجسم ويجعله هزيلا وغير قادر على مواجهة المصاعب.

لذلك كان الحل في قوله صلى الله عليه وسلم "نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا فلا نشبع"[153].

5) الخلية العائلية التي هي أساس الصحة النفسية:

لقد كانت الخلية العائلية في عهد ابن عمران أوَّل مزوِّد عاطفي للفرد، زيادة على أنها تمثل إطاره المادي والمعنوي الشامل.
لذلك كان من الضروري تطهير أسس هذه الخلية وتركيزها بكلِّ الوسائل.
وهذا هو معنى العائلة الواسعة المتينة والمنظمة والتي هي دائما مستعدة لتقديم الإعانة اللازمة والسند القوي لكل فرد من افرادها يكون في حاجة الى ذلك.

6) التضامن الاجتماعي.

إن أهمية التضامن الاجتماعي تتجلى عندما يواجه المرء مشكلة عويصة، تتجاوز إمكانيات الفرد في التحمل، حينئذ تكون العائلة والجيران وكل المجتمع متضامنين في رد الصعوبات والعدوان وذلك يرجع الى أن كل واحد يشعر بواجبه نحو أخيه "مثل المؤمنين في توادهم

وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[154].

7) الإيمان بحتمية الموت.

إن الموت قضاء[155]، لا مفر منه، وهو سيدرك كل الناس لا محالة، "فالموت باب وكل الناس داخله[156]" وبعده يأتي الحساب الفاصل الذي سيتحقق فيه العدل الإلاهي فهو أمل المؤمن ورجاؤه، إذ فيه يفوز بالجنة وفيه حرمان الكافر الذي يحاسب حسابا عسيرا.

وهكذا وبطريقة فطرية يجتاز المسلم الخوف من الموت فتخف وطأة الابتلاءات التي تصيبه في الحياة الدنيا.

3) مشكلة الانتحار.

إذا كان الانتحار في يومنا هذا، هو أخطر ما يشغل بال الطبيب الذي يعالج المصابين بالماليخوليا، فإن ابن عمران لم يذكره ولو مرة واحدة في مخطوطه وهذا يرجع أساسا الى:

1- تركيب الشخصية العربية الإسلامية.

2- ترابط الخلية العائلية.

3- ترابط المجتمع السليم الآمن الذي يمنع الالتجاء الى حلول اليأس.

غير أن إمكانية الموت الناتج عن الهزال التدريجي قد تحدث عنه ابن عمران.

وهذا يجعلنا حقا في حالة دهشة ... بالمقارنة مع ما نراه في عصرنا الحالي حيث أصبح الانتحار ومحاولات الانتحار كثيرة المشاهدة في تونس خاصة بعد الاستقلال الى حد أن نسبة الانتحار في تونس أصبحت تقارب نسبة الانتحار في اسبانيا وايرلندا الشمالية وبصفة عامة في البلدان الأوروبية والمسيحية[157].

4) موقف ابن عمران من الجن.

لم يكن ابن عمران ليتأثر بالتفاسير الغيبية الماورائية وبالخوارق والجنون .. التي كانت شائعة في ذلك العصر.

بل بالعكس لم يتجاوز الحدود المنطقية المركزة على الأسباب والمسببات والشواهد المحسوسة وبصفة عامة على التجارب والمعاينة.

وهذا أمر هام جدا إذا علمنا أنه طوال عدة قرون من القرون الوسطى إلى عصر النهضة بأروبا كانت النظرية السائدة هي النظرية الجنية والشيطانية... مما أدى في أروبا الى تعذيب وحرق العديد من المرضى النفسيين المتهمين بـــ"اِلتباس الشيطان بهم".

5) من ناحية العلاج.

1- الخطوط العريضة:

لقد عرَّف ابن عمران بالخطوط الرئيسية الموجهة لعلاج الأمراض النفسية وهي:

العلاج النفساني.
العلاج بالبيئة والمحيط.
العلاج بالحمية والتغذية.
العلاج الفيزيائي.
العلاج الكيمياوي ومنه، العلاج السببي، والعلاج المظهري.

وكل هاته العلاجات تدخل في إطار علاقة إنسانية، بين الطبيب والمريض، ركزها ابن عمران منذ قرون قبل الفرنسي بينال على التعزية النفسية ودرسها ببراعة نادرة.

2- علم الأدوية

كما ذكر ابن عمران عددا كبيرا من الطرق الكيميائية والفيزيائية المستعملة إلى يومنا هذا لصنع الأدوية واستخراج العنصر الفعال.

ثم عرض ابن عمران عددا كبيرا من الأشكال الصيدلية صنفها كما يلي:

أ- الأدوية الفموية

البنادق.
المحلول السكري.
المعجون أو الجوارشن.
الساقح.
المسك.
الأيارج.
الدرور.

ب- الأدوية التي تحتمل في المقعدة

البسامح.
الأشياف.
الساقح.
الأدهان.

ج- الأدوية ذات الاستعمال الخارجي: الأدهان

ومن الممكن أنَّ التحاليل المخبرية ستمكننا غدا في هذا الصدد من اكتشاف عناصر جديدة ذات فاعلية على الجهاز العصبي وخاصة على القلق والاكتئاب.

اذ أنه رغم التقدم الكبير الذي أحرزته العلوم الطبية المعاصرة والتي استفادت من عدة عقاقير عربية بقي عدد كبير من هاته الأدوية والنباتات مجهولا الى اليوم الحاضر أو مستعمل بصفة عفوية من طرف بعض العرافين.

والسؤال المطروح هنا، ما الذي سيحدث إذا وضعت كل الأدوية التي ذكرها ابن عمران

محك المخبر كي تدرس بصفة جدية... إنَّ هذا الافتراض لجدير بالاهتمام وهما علينا أن نتساءل، ألم تكشف مادة الكورتيزون[158] من نبات إفريقي ومادة السارازين[159] من عشب طبي قديم في بلاد الهند.

6) أسباب الخطأ

في دراسة ابن عمران نجد نقطتي ضعف:

1- من ناحية التفسير المرضي:

ارتكز الكاتب على نظرية الأخلاط الأربعة واعتبرها كسبا ثابتا ولكن هاته النظرية التي سيطرت على الأذهان حتى القرن الثامن عشر لم تثبت أمام الاكتشافات العلمية الجديدة... ولا نريد طبعا من هذا محاسبة الكاتب.

2- من ناحية العلاج:

أكَّد ابن عمران على الإسهال ونصح باستعمال الخمر في بعض الحالات وهذا الخطأ في ظني هو ناتج:

أ- عن التبعية للأوائل تبعية جلية في قوله "ونحن نقبله من المعلم بخضوع واستكانة" لهذا يمكننا القول أن النقد الفكري لابن عمران لم يتمكن من اجتياز حاجز القدماء.

ب- عن افتقاد نظريات أخرى في ذلك العصر يمكنها أن تعطي رؤية أكثر وضوحا للأشياء.

أما العلاج بالخمر وبالمسهلات فهو يبقى معرضا للنقد فالقاعدة الأساسية التي تميز علاقة الطبيب بمعلميه هي:

* احترام عميق يربط بين المعلم وتلميذه.
* البحث والتحقيق العلمي.
* النقاش البريء والإقناع المنطقي.
* القدرة على النقد.

فعلى الطبيب الناشئ أن يحافظ على كفاءته في النقد والتحقيق إذا ما أراد دخول طريق الاكتشاف ثم عليه أن يحقق مع معلميه أفكاره ومشاهداته وحججه في حدود اللياقة والاحترام.

حينئذ يقوم المعلم بتوجيه الباحث وتسديد الخطى ولنعلم ان التبعية العمياء لا تؤدي إلا للفشل.

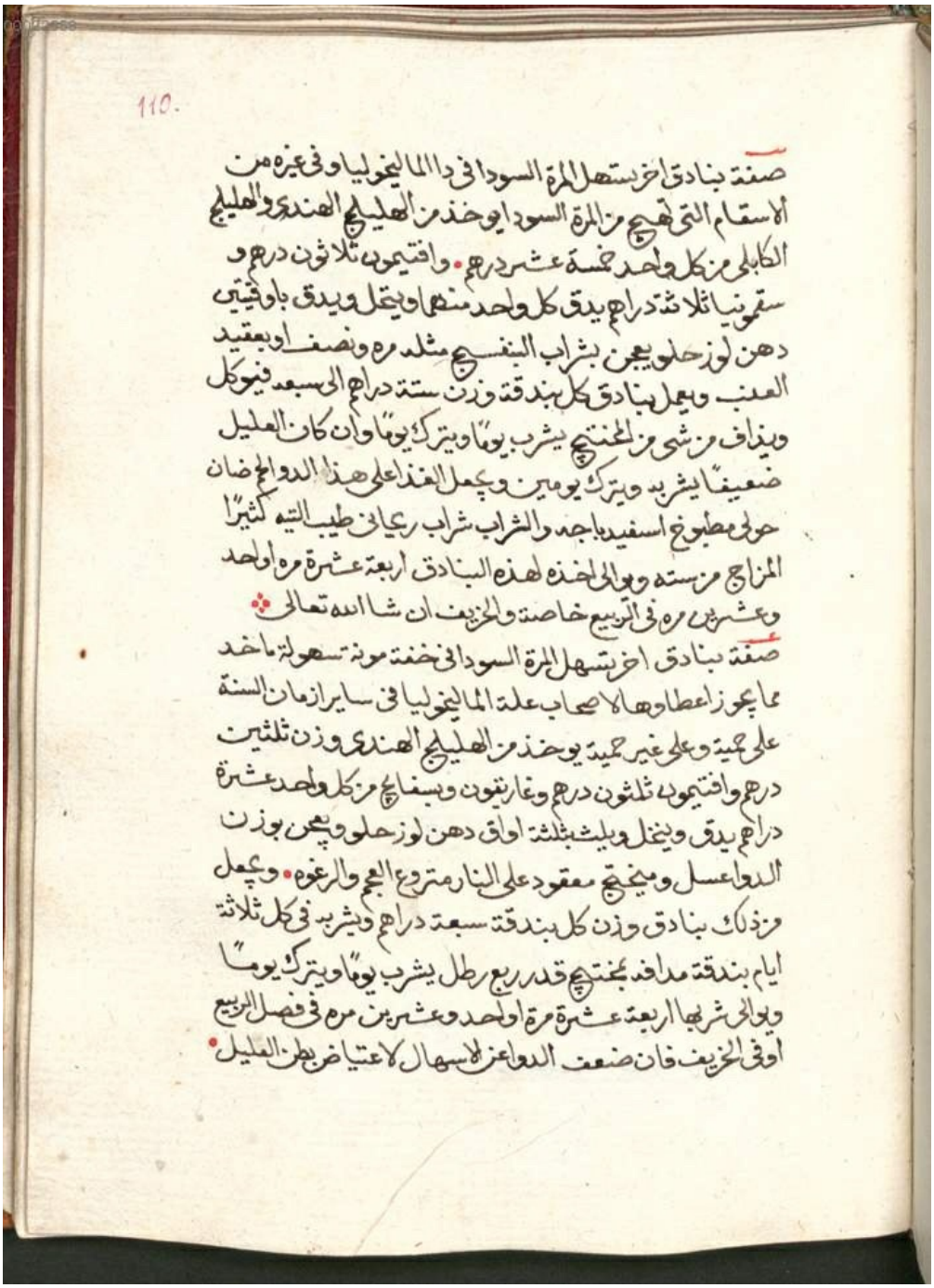

110.

صفة بنادق اخر تسهل المرة السودا في دا المالنخوليا وفي غيره من
الاسقام التي تهيج من المرة السودا يوخذ من الهليلج الهندي والهليلج
الكابلي من كل واحد خمسة عشر درهم • وافتيمون ثلاثون درهم و
سقمونيا ثلاثة دراهم يدق كل واحد منهما وينخل ويدق باوقيتين
دهن لوز حلو يعجن بشراب البنفسج مثل مره ونصف او بعقيد
العنب ويعمل بنادق كل بندقة وزن ستة دراهم الى سبعة فيوكل
ويذاف من شي من الخنتيج يشرب يوما ويترك يوما وان كان العليل
ضعيفا يشربه ويترك يومين ويجعل الغذا على هذا الدوا الحضان
حولي مطبوخ اسفيدباجه والشراب شراب ريحاني طيب التيه كثيرا
المزاج من سته ويوالي اخذه لهذه البنادق اربعة عشرة مره او احد
وعشرين مره في الربيع خاصة والخريف ان شا الله تعالى ❖
صفة بنادق اخر تسهل المرة السودا في خفة مونة تسهولة ماخذ
مما يجوز اعطاوها لاصحاب علة المالنخوليا في ساير ازمان السنة
على حمية وعلى غير حمية يوخذ من الهليلج الهندي وزن ثلثين
درهم وافتيمون ثلاثون درهم وغاريقون وبسفايج من كل واحد عشرة
دراهم يدق وينخل ويلت بثلثة اواق دهن لوز حلو ويعجن بوزن
الدوا عسل ومنخيج معقود على النار متروع العجم والرغوه • ويجعل
من ذلك بنادق وزن كل بندقة سبعة دراهم ويشربه في كل ثلاثة
ايام بندقة مدافد بخنتيج قدر ربع رطل يشرب يوما ويترك يوما
ويوالي شربها اربعة عشرة مرة او احد وعشرين مره في فصل الربيع
او في الخريف فان ضعف الدوا عن الاسهال لاعتياض بطن العليل •

الصفحة 43 من المخطوط

IV-5- الفصل الخامس

تحليل في المرض النفسي المقارن

هذه هي بإيجاز الانتقادات الأولية التي تمكنا من استنتاجها من دراسة مقالة ابن عمران في

الماليخوليا.

وبهاته المناسبة لا يمكننا إلا أن نقوم ببعض المقارنات مع ما نعلمه اليوم حول الحالات الاكتئابية.

ففي أيامنا هذه نشاهد بنسبة مرتفعة، الاكتئابات العصابية والارتكاسية والانتكاسية وأحيانا الانتهاكية.

ولكن الأكثر شيوعا هو التجسيد المرضي سواء كان في إطار ما نسميه اليوم بالاكتئابات المُقَنَّعَة أو في إطار الحالات الاكتئابية التي تعقِّد إصابات أخرى أو تنتج عن أمراض جسدية أخرى، كالسكر والأمراض القلبية والأمراض الهضمية وأمراض الكبد والمفاصل وغيرها...

أما الهياكل النفسية المرضية فهي كثيرا ما تكون على علاقة بمرض تحويلي كما هو الشأن في التحويل الهستيري.

ولكننا نجد كذلك حالات اكتئابية ماليخولانية باطنية إمَّا بسيطة وإمَّا مركبة في إطار الذهان الهوسي السوداوي.

وفي هذه الحالة فإنَّ التعقيدات في الكبد والمرة أو الأمعاء الجيِّدة والخشنة ليست بنادرة.

هذا مع ملاحظة أن الأصناف الشراسفية الخالصة هي نادرة.

وفي هذا الإطار نستحضر في أذهاننا عددا من المرضى أصيلي الساحل التونسي يستجيبون للوصف الذي قدمه ابن عمران منذ عشرة قرون، وأحدهم من القيروان نفسها.

أظف إلى ذلك أن الماليخوليا الباطنية الدورية كثيرا ما تظهر عند الشخص البدين القصير المتدين سواء كان تاجرا أو فلاحا حيث لا يشتكي من إصابات الدهر وهو في مأمن داخل عائلته ولكنه مع ذلك يأتي بصفة دورية إلى العيادة الخارجية من أجل حالات اكتئابية واضحة.

وإنّ بعض هاته الأصناف الباطنية أدّت إلى الانتحار وإلى محاولات الانتحار مثل ذلك المريض الذي حدثنا عنه الأستاذ سليم عمار والذي يشبه تماما الوصف الذي قدمه ابن عمران ينقصه محاولة الانتحار.

أما الأصناف الهذيانية الهلسية فهي كثيرة المشاهدة وكذلك بعض الأصناف الهستيرويدية المصحوبة بقلق شديد وبالمظاهر الخوفية القلقية والوسواسية أو الشراسفية المراقية.

ونشاهد أحيانا تناذر كوتارد Syndrome de Cotard وهو هذيان نفي الأعضاء (délire de négation d'organe) في الأصناف القلقية والاختلاطية وخاصة عند المرأة في فترة ما بعد الولادة وعند الرجل بعد الصَّدَمات النفسية الهامة وحتى بعد الإصابات الجسدية المختلفة التي تؤثر على الأرضية الجسدية وتهيئتها للاكتئاب وهذا أمر هام خاصة عند الأمهات العديدات الأبناء بعد الولادة أو بعد سن اليأس.

ونشاهد في يومنا الحاضر حالات تعب الأعصاب مع فشل اكتئابي تصحبها عدة أعراض جسدية.

ولكن الأمر الهام أصبح يتمثل في تشتت العائلة الواسعة التي بدأت تنقسم إلى دائرات ضيقة، خاصة مع تفاقم حركة النزوح والتَّمدُّن والتّصنيع واقتحام عوامل التَّثقيف التي تهاجم الهياكل الثقافية التقليدية الأصلية التي كانت توفِّر الأمن، وكل هذه العوامل كان لها تأثيرها المباشر من ناحية الكمّ والكيف على انتشار الحالات الاكتئابية في تونس وتوسعها.

وبالتالي فإنّ نسبة الاكتئابات وخطورتها مع كل ما نلاحظه اليوم من تعقيدات في شكل محاولات انتحارية تفرض على الأطباء المزيد من الانتباه والاعتناء والاستعداد وذلك خاصة بالنسبة للأطباء النفسيين، عبر التكثير من مراكز العلاج المختصة حتى نتمكن من نجاعة أكبر في التشخيص، ومن العطف أكثر على المريض النفسي عند فحصه، فالاعتناء الكامل بالمريض يرغمنا على بلورة الطرق العلاجية التي ذكرها ابن عمران في عصره.

وبناء على هذا التحليل الوجيز ومن خلال هذه المقارنة السريعة في نطاق الطب النفسي المقارن نرى أنَّ " الرجوع إلى الأصل فضيلة " وأن هذا الرجوع سيكون ثريا بالتعاليم الثمينة.

ونذكر من جديد قول ليبنيتز[161] "بأن نسيان تاريخ علم من العلوم، معناه أننا ملزمون بإعادة حفظه كلَّ يوم".

وعلينا في الختام أن نتساءل كَم من طبيب وكم من أخصائي في علم النفس اليوم يتعامل مع مريضه بهذه المعرفة وسعة الرؤية والإتقان والحنان والكرامة كما كان يفعل ابن عمران في عصره.

ثم من منا يعرف مبدأ الاستفادة من كل الطرق والنظريات، وإن عرف ذلك هل يقبل، كما كان يوصي الأستاذ والفيلسوف الفرنسي جان دولاي[162] "بالاستعانة بكل الطرق لا بمواجهتها ببعضها".

وكم طبيب اليوم لا يكتفي بكتابة سريعة لوصفه أدوية مضادة للاكتئاب دون أن يجري فحصا جسديا كاملا وشاملا.

إن الدراسات المماثلة لهاته الدراسة التي نقدمها اليوم لها الفضل في نفض الغبار الذي تراكم طيلة قرون على رصيدنا الثقافي والعلمي.

كما لها الفضل أيضا في اعطائنا درسا هاما في الحكمة والتواضع.

وهذا من شأنه أن يجعلنا نفكر طويلا في ما نرمي إليه من وراء طرقنا العلاجية وفي مدى مسؤوليتنا حينما نباشر مهمتنا الطبية.

وحين نجد أنفسنا أمام مرضى من هذا الصنف وقد أصبحوا من سوء الحظ عديدين وأصبح علاجهم أكثر تعقيدا، يجب علينا أن نتحلى بالصبر والتحمل والمعرفة حتى نقدّم لهم التفهُّم الكامل والإعانة الطبية المتنوعة الشاملة التي تتطلبها حالتهم كما كان يفعل ابن عمران.

٧- الخاتمة

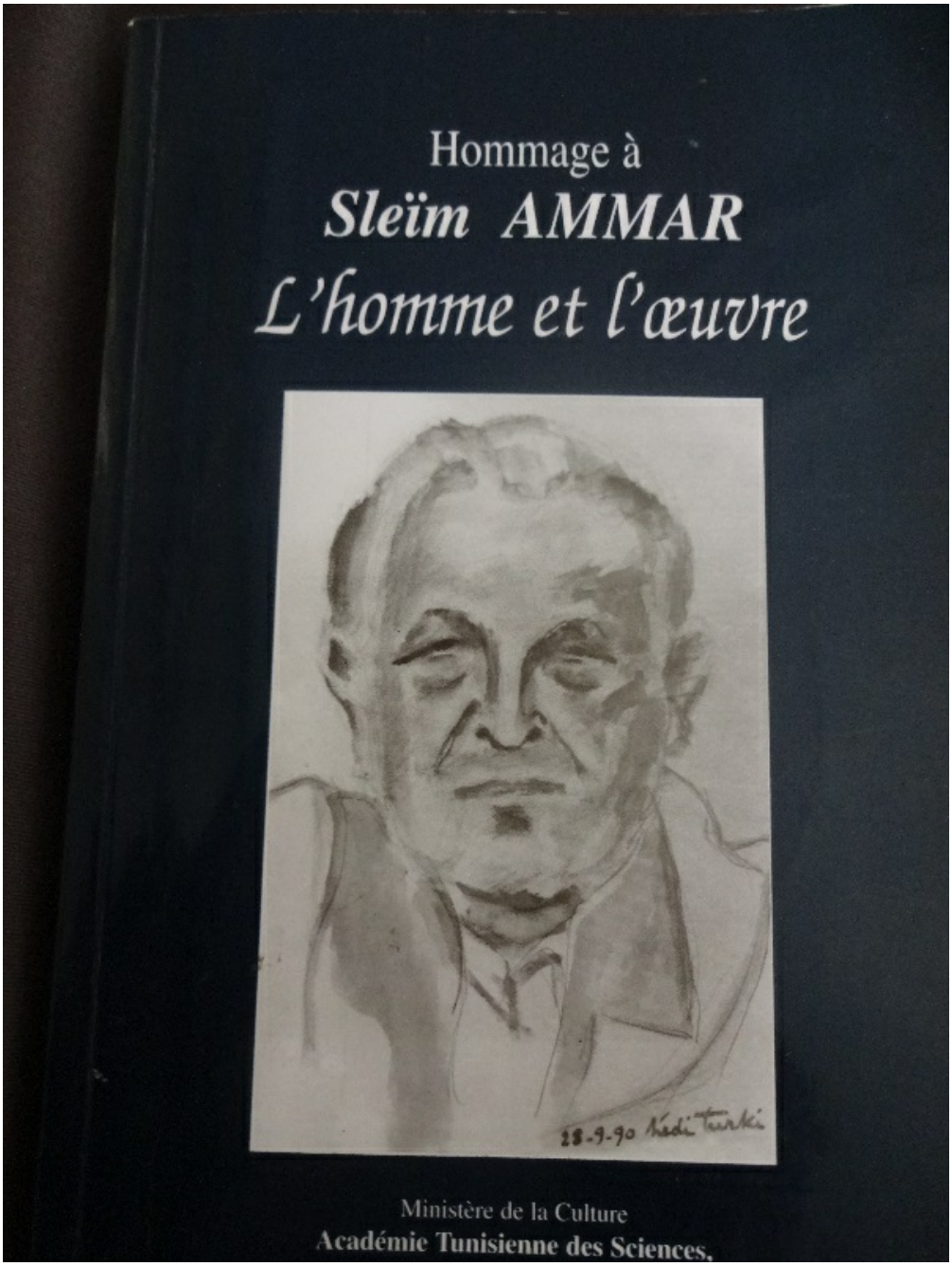

يعتبر اسحاق بن عمران الطبيب العربي الذي جاء إلى تونس (افريقية) قادما من بغداد سنة 887 مسيحي الموافق لسنة 273 هجري أوّل من أدخل الطب لبلاد المغرب.

وخلف إسحاق بن عمران أحد عشر مؤلفا، لم يصلنا منها إلا مصنف "المقالة في الماليخوليا"، الذي تحفظ نسخته الوحيدة في مكتبة مونيخ بألمانيا، ومنها استورد الأستاذ سليم عمار نسخة مصورة قصد دراسة مدقَّقة كرَّمنا اليوم بتقديمها وتحليلها تحت إشرافه.

وقد دفعنا تحليل مخطوط مقالة في الماليخوليا لإسحاق بن عمران إلى مراجعة تاريخ مرض الماليخوليا أو المرة السوداء والذي يسمى مرض الاكتئاب ومكنتنا هذه المراجعة من :

1) إحياء ذكرى العديد من الأطباء الذين ازدانت بهم صناعة الطب قرونا طوالا منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا.

2) تتبّع تطوّر تاريخ النظريات الطبية النفسية إذ مرّ هذا التاريخ بنظرية الجنّ فنظرية الأخلاط فنظرية الأبخرة حتى وصل الى النظريات الكيمياوية الحياتية المعاصرة.

3) دراسة هذا المرض كما وصفه ابن عمران في إطار الطب النفسي المقارن عبر العصور[163].

ويهتم بحثنا هذا بمقارنة ما كان عليه هذا المرض في عهد ابن عمران بما هو عليه في يومنا هذا.

وهكذا استطعنا أن نجد مفهوم الاكتئاب أو الماليخوليا في أدب مصر العتيقة وفي إلياذة هوميروس وكتابات جالينوس وأبقراط وأسكلبيوس وسلس...

غير أننا لم نجد لابن عمران أيّ ذكر في كل المراجع التاريخية الغربية. وهذا الشيء مؤسف حقا خاصة وأن ابن عمران هو أول من قدم في داء الماليخوليا وصفا متكاملا ومنظّما بل نستطيع أن نقول أكاديميا.

ويمكننا أن نتفهم هذا النسيان إذا ما أدركنا أن كل المخطوطات العربية الثمينة لا يمكن أن تصل الى معرفة الغربيين وإذا وصلت فكثيرا ما يقع تحريف أصلها اذا لم يُحطّض من شأنها ولم تُحقَّر ظلما.

حقا إن "المقالة في الماليخوليا" لابن عمران تعتبر مصدرا ثمينا إذ أننا لم نجد في الكتابات اللاحقة للرازي وابن سينا وغيرهما ... إلا المعلومات نفسها التي ذكرها ابن عمران.

أما بعض المستشرقين الغربيين فإنهم ينسبون خطأً هذا المخطوط إلى قسطنطينوس الإفريقي الذي لم يكن إلا مجرِّد مترجم له. فتأليف ابن عمران هذا، يعتبر عملا أكاديميا جمع في هذا الموضوع كلّ المعلومات القديمة وساهم في إثرائها بصفة فعالة.

I . التحليل

يفيدنا تحليل هذا المخطوط دروسا ثرية فهو يعتبر بالنسبة لذلك العصر دراسة متكاملة تحتوي على مقالتين:

1* المقالة الأولى

يعرف بهذا الفصل الماليخوليا بأنها مرض سببه المرة السوداء وهي التي تلحق أعراضها بالنفس فتكون الحزن العميق والخوف الملاحق أما أعراض المرة السوداء الجسمية فهي الأرق والهزال.

وترتبط أسباب الماليخوليا بالأرضية الهشة التكوينية وبالأسباب المكتسبة والمؤثرة جسميا أو نفسيا.

وهذه المقالة الأولى في الماليخوليا كما يقدمها ابن عمران لها قيمة كبرى وليس لنا أن نضيف اليها إلا القليل.

ومن ناحية أخرى فإن دراسة الأسباب المرضية ترتكز على نظرية الأخلاط الأربعة الأبقراطية بعد أن راجعها جالينوس، وتِلكُم النظرية تعتبر مقدمة للنظريات العصرية التي تتعرض إلى تعامل الغدد الصماء مع الجهاز العصبي والاتزان النفساني.

هذا وصنف ابن عمران الماليخوليا الى ثلاثة أصناف:

1- الصنف الذي يتولد في خاصة الدماغ.

2- الصنف الذي يرتقي من أسفل البدن الى الدماغ.

3- الصنف الشراسفي.

أما مظاهر الماليخوليا فقد وصفها ابن عمران بكلِّ دقة في إطار أعراض تذكِّر في تجمعها التناذري[164]، بالأصناف السريرية التالية التي تعودنا وصفها في الوقت الحاضر وهي:

الأصناف التي تتميز بعدم الحيوية والنشاط وشلل الإرادة وهي ما نسميها اليوم الأصناف الذهولية:

(Formes stuporeuses)

الأصناف القلقية: (Formes anxieuses)

الأصناف الهذيانية: (Formes délirantes)

الأصناف الهلسية:(Formes hallucinatoires)

الأصناف الشراسفية أو المراقية:

(Formes hypochondriques)

الأصناف التي تلحق أو تسبق الإبلمسيا[165].

2* المقالة الثانية

تهتم أساسا بالعلاج وتذكر بوضوح كل مبادئ التداوي المعروفة لدينا اليوم وهي:

- قواعد الوصفة الطبية.
- قواعد صناعة الأدوية وكيفية توزيعها.
- والعلاج ذاته بكلِّ أنواعه كما يشير إليه الطب النفسي الحديث:

أ* العلاج النفساني:

ويتمثل العلاج بالطرق النفسية في ضرورة مواساة المريض وملاطفته والحديث معه بصفة مقنعة حتى يتخلص من تلك الأحاسيس والتأويلات الكاذبة وذلك بمختلف الطرق.

ب* العلاج بالطرق الفيزيائية:

بالاستنقاع في الماء العذب الفاتر والماء البارد في الصيف وباستعمال الأدهان المفترة الكثيرة الرطوبة.

ج* العلاج بالبيئة والمحيط.

د* العلاج بالأدوية والعقاقير.

ويهتم ابن عمران في نفس الوقت بالعلاج المظهري للأعراض كما يهتم بالعلاج السببي.
كما يذكر ابن عمران مستحضرات ماهرة في صناعة الأدوية الدقيقة يقدمها في أشكال مختلفة تهدف الى اتجاهات علاجية متنوعة وهي كما جاءت في المخطوط:
الأدوية الفموية: "البنادق"، "السوائل التي تسقى"،
" السفوف"، "الجوارشن"، "الساقح"...
الأدوية التي تحتمل في المقعدة: " الأشياف" – "البسامح" – "الأدهان".
الأدوية ذات الاستعمال المحلي: "النطول" – "الأدهان "البدنية"

II التعاليق:

1) لقد وصف ابن عمران جلّ الأصناف المعروفة لحالات الاكتئاب الماليخولانية. ولكنه لم يذكر حالات الاكتئاب الارتكاسية والعصابية، كما نعرفها اليوم في عصرنا الذي يختص بسرعة التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ولا شك أن هذا يرجع إلى ما كان يتميز به الوسط الاجتماعي للحضارة العربية الاسلامية والتي كانت تختص بـــ:
أ–الايمان المركز بالله.
ب– النهي عن التمادي في الحزن.
ج– توازن الحياة والبعد عن الشطط والمغالاة في الدين والإفراط في الأكل وفي الجوع.
د– سلامة وتضامن الخلايا العائلية.
مـــ– الايمان بحتمية وقدرية الموت.

2) قدم ابن عمران هيكلا دراسيا صالحا لكل الدراسات التحليلية الطرقية ألا وهو:
أ– التعريف بالداء.
ب– حدُّه.
ج– مصادره وتحليل الأسباب المرضية.

3) مكَّننا ابن عمران من ضبط العلاقة التي تربط بين الطالب والمعلم والتي ترتكز على:
أ– الاحترام.
ب– تقديم الملاحظات والتحقيقات والتحاليل.
ج– التحاور مع المعلم في الافتراضات والأدلة المطروحة
4) ولم يذكر ابن عمران الانتحار مرة واحدة
طوال هاته الدراسة ذلك أن القيم العقائدية وتلاحم أفراد الخلية العائلية فيما بينهم وحصانة الوسط الاجتماعي والثقافي تمنع كلها الالتجاء والاستسلام إلى حلول اليأس.
فالفرد مرتبط ارتباطا وثيقا بالمجموعة ويعتقد أن نجاته بيد الله فلا يسمح لنفسه بالتفكير في تحطيم ذاته.
وهكذا تنتصر غريزة الحياة على دوافع الموت.

5) في الأصناف الهذيانية المذكورة، لا يوجد أيّ ذكر لمواضيع اتهام الذات وتوبيخ الضمير التي كثيرا ما ترتبط في يومنا الحاضر في الأوساط المسيحية بالماليخوليا.

ويبدو أن هذا راجع إلى الإيمان بالقدرية في الاسلام والإعتقاد أن القسمة من الله تجعل المؤمن يرضى بما كُتب له منها.

فيتحول الإيمان بالقضاء والقدر إلى صبر وشجاعة في المحنة وأمل في الرحمة.

6) لم يلجأ ابن عمران إلى التفاسير الغيبية

وإلى الجن كأصل لداء الماليخوليا بل ارتكز تفسيره على أسباب طبيعية، تخضع لقوانين المعاينة والتجربة والتحليل والمنطق.

7) وأخيرا عرف هذا المؤلف بالخطوط العريضة لمختلف أنواع العلاج التي يجب على الطبيب النفساني استحضارها أمام مريضه كما توصي بذلك قواعد الطب النفسي الحديث والتي من سوء الحظ لا يعمل بمقتضاها العديد من الأطباء في يومنا هذا وهي:

أ- العلاج بالطرق النفسية: Psychothérapie

إن كيفية مخاطبة المريض تستند على المواساة والتشجيع وإزالة الظنون الكاذبة.

ب- العلاج بالبيئة والمحيط: Socio et climatothérapie

يوصي ابن عمران المريض، بالتنقل بعيدا عن مكان الإصابة وبالسفر والتنزه في الحدائق والبساتين وركوب الخيل والاستماع الى الموسيقى وإقامة البناءات في البلد المحمود سكناه لمناخه المعتدل بعيدا عن العواصف والتقلبات الجوية حتى أن هذا المؤلف أصبح يتعرض إلى اتجاه البيوت حسب الأراييح ويوصي بتوجيه فتحاتها نحو مهب ريح الصبا[166].

ج- العلاج بالوسائل الفيزيائية:Physiothérapie

بالاستنقاع في الماء العذب والحار أو البارد في الصيف مع الدلك والإدهان بالأدهان المفترة.

د- العلاج بالحمية والطرق الغذائية المناسبة:

Hygiéno-diététique

على الطعام حسب ابن عمران أن يزداد في قدره قليلا في الشتاء وينقص منه في الصيف ويزداد في تدبيره قليلا ويبقى على حاله في الربيع والخريف.

كما ينهى عن الإفراط في كل شيء وفقدان التوازن الجسمي والنفسي في كل شيء.

هـ- العلاج بالأدوية والعقاقير:Chimiothérapie

ترتكز وصفات ابن عمران على التداوي بالحشائش والأعشاب.

فيذكر عددا كبيرا من الأشكال الصيدلية التي تبدو حتى في عصرنا الحاضر في غاية من التكامل والثراء.

وهاته الأشكال التي يذكرها ابن عمران في غاية من الدقة والبراعة عند الإعداد وفي غاية من النظام وضبط الكمية عند التناول.

وباستثناء بعض هاته العقاقير فإنّ أكثرها لازال مجهولا إلى يومنا الحاضر، إن لم يكن لها استعمال اعتباطي من طرف بعض المشعوذيم والعرّافين، وكثيرا ما تنبِّهنا إلى ضرورة التحقيق في

هذه الأدوية بطريقة علمية تجريبية.

III التحليل المقارن:

لما نقارن الأوصاف التي قدمها ابن عمران في مختلف الأصناف السريرية لمختلف أنواع الماليخوليا بالحالات الاكتئابية التي نشاهدها اليوم نلاحظ ما يلي:

1) أننا كثيرا ما نعاين اليوم في البلاد التونسية خاصة الحالات الاكتئابية العصابية والارتكاسية والانتكاسية والحالات الاكتئابية الانتهاكية والحال أنه لم يسبق لابن عمران أن ذكر هذه الحالات.

ولكن الحالات الاكتئابية الأكثر مشاهدة سواءً في عصرنا الحاضر أو في عصر ابن عمران هي الحالات التي تتجلى فيها ظاهرة التجسيد وذلك إما في إطار ما نسميه اليوم في أوروبا الاكتئابات المقنَّعة وإما في إطار الاكتئابات التي تعقد وتضاعف أمراضا جسدية أخرى (مرض السكر وأمراض الدورة الدموية وأمراض الجهاز الهضمي...)

ونشاهد كذلك وبنسبة مماثلة كما في عصر ابن عمران حالات اكتئابية ماليخولانية باطنية نموذجية بسيطة غير مزدوجة أو حالات أخرى تدخل في إطار الذهان الهوسي والاكتئابي.

هذا وإن الأوصاف التي تتميز بإصابة المرة والكبد ليست بنادرة وكذلك الأصناف الشراسفية التي كثيرا ما يصطبغ بها داء المراق (Hypochondrie).

وفي هذا المضمار فإننا نذكر عددا من المرضى أصيلي الساحل التونسي وأحدهم أصيل القيروان بذاتها ينطبق عليهم وصف ابن عمران منذ عشرة قرون سابقة.

وأخيرا هنالك فارق أساسي يتمثل في فقدان المسالك الانتحارية في عصر ابن عمران على عكس ما يوجد اليوم.

VI الاستنتاجات التطبيقية

وهكذا فإن نسبة الحالات الاكتئابية ونوعيتها ومظاهرها وخطورتها حسب ما نشاهده اليوم بالإضافة الى مضاعفاتها (الانتحار وأفكار الانتحار) تتطلب مزيدا من العناية والتبصر من طرف الأطباء وخاصة منهم النفسانيين.

ولا يتم ذلك إلا بتوفير مراكز علاجية مختصة دأبها العمل في غاية من التبصّر والتمعّن حتى يشخّص هذا الداء على اختلاف أنواعه بكلّ ثبات.

كما أن هذه الغاية لا تحصل إلّا بمزيد من التفهم والرفق بالمريض كي يستفيد من كل الطرق العلاجية التي أشار اليها ابن عمران منذ عهد بعيد.

ولنا أن نتساءل اليوم: كم من طبيب عموما وكم من طبيب نفساني بالخصوص حينما يجد نفسه أمام مصاب بالماليخوليا يتصرف مثل ابن عمران، وبنفس الاستعداد والمقدرة والمهارة وبعد النظر؟

وكم من طبيب يعرف حقا كما أوصى بذلك الأستاذ المعاصر جان دولاي Jean Delay كيف يجمع بين كلّ هاته الطرق العلاجية ولا يقسمها الى طرق متضادة متنافية.

وكم من طبيب لا يكتفي بتحرير سريع لوصفة بها دواء كيماوي مضاد للاكتئاب أو مزيل للقلق ويفحص المريض ويستمع الى شكواه.

هذا وإنّ الدراسات المماثلة لما نقدمه اليوم لها الفضل في أن تنفض الغبار، الذي جمعته السنوات على تراثنا الثقافي والعلمي القديم.

وزيادة على الآفاق الكبيرة التي تفتحها للبحوث في حقل الصيدلية فإنها تعطينا درسا في الحكمة والتواضع ودروسا ثمينة في الواجبات الأدبية والأخلاقية. وهذا من شأنه أن يجعلنا نفكر مليًّا في الهدف الذي نصبو اليه حين نعالج المريض وفي المسؤولية الجسيمة التي نتحملها حينما يطالبنا مثل هؤلاء المرضى بالشفاء.

وحينما نجد أنفسنا غدا، أمام هؤلاء المصابين الذين للأسف تكاثر عددهم اليوم وأصبح علاجهم أكثر تعقيدا يجب علينا أن نتحلى بالصبر والمعرفة والنجاعة ورحابة الصدر وبعد النظر حتى نوفر لهم كل أنواع المساعدة مثل ما فعل ابن عمران في عصره.

ولعل هذه هي أهم عبرة نستخلصها من هاته الدراسة

وفيما يخص الماليخوليا فإن مخطوط ابن عمران بقي من أهم الدراسات التاريخية. وإذا كنا لم نستخرج منه كل الأسرار فإنَّا نأمل أن يتعمّق باحثون آخرون من بعدنا في هذا الموضوع وخاصة في النواحي التي لم ندرسها درسا كافيا مثل علم الصيدلية وصناعة الأدوية في نطاق أبحاث جماعية تشمل العديد من الإختصاصات ونأمل أن تستخرج منها بإذن الله فوائد جمة واكتشافات قيمة.

VI- المراجع والملاحق

VI-1. المراجع باللغة العربية

1-القرآن الكريم- المصحف العثماني.
2- ابن أبي عيينة (أحمد بن القاسم) عيون الأنباء في طبقات الأطباء – دار الفكر بيروت- 1956.
3- ابن أبي أُصيبعة – عيون الأنباء في طبقات الأطباء- المطبعة الوهبية المصرية.
4- ابن الاثير (محمد بن محمد) الكامل في التاريخ القاهرة 1348ه -9 مجلدات.
5- ابن البيطار (عبد الله بن أحمد) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية – مكتبة المثنى ببغداد- مجلد واحد.
6- ابن سينا (الحسين)- القانون في الطب دار صادر بيروت- 3 مجلدات.
7- ابن القيم الجوزية – الطب النبوي – دار الحكمة – بيروت
8- ارسلان (شكيب) حاضر العالم الاسلامي دار الفكر- بيروت – 1973
9- أسعد (ميخائيل ابراهيم) علم الاضطرابات السلوكية – الأهلية للنشر والتوزيع- بيروت 1977.
10- الجوهري (فائق) أخطاء الأطباء- سلسلة إقرأ – دار المعارف بمصر- القاهرة 1962.
11- الحجي (عبد الرحمان علي) -التاريخ الأندلسي دار القلم- بيروت الكويت .1976
12- حسين (محمد كامل) ومحمد عبد الحليم العقبي- طب الرازي دار الشروق- القاهرة 1977.
13- الدباغ (فخري)- أصول الطب النفساني- مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر -الموصل 1977.
14- رويحة (أمين) التداوي بالأعشاب دار القلم بيروت – .1973
15- رويحة (أمين) أمراض الجهاز الهضمي دار العلم للملايين – بيروت 1966.
16- صليبا (جميل) علم النفس- دار الكتاب اللبناني – بيروت 1972 .
17- عبد النور (جبور) وسهيل ادريس- المنهل قاموس فرنسي عربي- دار الآداب- دار العلم للملايين بيروت 1970.
18- عبد الوهاب (حسن حسني) ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية تونس 1965 مجلدان.
19- عمار (سليم) – شمس الدين المبروك- حول مقالة اسحاق بن عمران في الماليخوليا.

20- عويصة (علي محمد)- المعجم الطبي الصيدلي الحديث- دار الفكر العربي القاهرة 1973.
21- قباني (صبري) طبيبك معك- دار العلم للملايين بيروت- 1977
22- قباني (صبري)- الغذاء لا الدواء- دار العلم للملايين بيروت 1976.
23- كنجو (خالص جلبي) الطب محراب الايمان الشركة المتحدة للتوزيع – بيروت 1971.
24- مختصر صحيح مسلم-الحافظ المنذري- الكويت 1969
25- معجم العلوم الطبية – مرشد خاطر- أحمد حمدي الخياط- محمد هيثم الخياط- مطبعة جامعة دمشق- 1974.
26- المنجد في اللغة والاعلام – دار المشرق – بيروت 1976
27- معجم النباتات – جامعة الدول العربية الرباط-1971
28- النووي (أبو يحي بن شرف)- رياض الصالحين – المكتبة التجارية الكبرى.
29- الهيلة (محمد الحبيب) تحقيق وتقديم كتاب "سياسة الصبيان وتدبيرهم" لابن الجزار- الدار التونسية للنشر- تونس 1967.
32- هونكة زقريد- شمس العرب تسطع على الغرب- المكتب التجاري بيروت – 1969.

الجمعية التونسية لتاريخ الطب	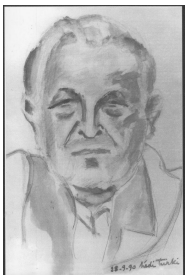	Université Sidi Mohamed Ben Abdellah

5ème colloque international de l'histoire de la Médecine de Fès 18 et 19 Octobre 2017

«Histoire de la Psychiatrie dans le monde Arabo-musulman »

en partenariat avec la Société Marocaine de Psychiatrie.

VI-2. رحلة مع سليم عمار "في مركبة الماليخوليا"

الدكتور شمس الدين حمودة سوسة تونس

شكرا لكل من سهر على تنظيم هذه التظاهرة، وكل الذين أتاحوا لي فرصة الحضور لأساهم معهم وأعرض عليهم خواطر حول الذكرى الثامنة عشر لوفاة الأستاذ سليم عمار، وأستغل هذه الفرصة لأعبر عن سعادتي بوجودي معكم في هذا اللقاء الذي جمعنا حول ذكرى رجل ألفنا الإنصات إلى دروسه و محاضراته في مختلف المؤتمرات و اللقاءات حول الطب النفسي وتاريخ الطب والصحة النفسية.

ثمانية عشرة سنة مضت

لقد مرت حوالي ثمانية عشرة سنة منذ أن غادرنا الأستاذ سليم عمار في 06 نوفمبر 1999.
تلاميذه وزملاؤه وأقرانه كلهم يعلمون أنه كان الأب والمؤسس الأول لمدرسة الطب النفسي التونسي. وكان له الفضل في إشهارها والتعريف بها في كافة أنحاء العالم، من خلال أكثر من 300 بحث منشور وأكثر من 15 كتابا مطبوعا. وعنه قال الأستاذ Yves Pélicier » الأستاذ التونسي الذي رفع الطب النفسي في بلاده إلى المقام العالمي« .
واعتبرت الأستاذة سعيدة الدوكي الأستاذ سليم عمار من مشاهير بلاده لأنه دخل، حسب قولها، في حياته عالم الأسطورة. واقترن اسمه بمستشفى الرازي وبمنوبة وبمرض الاختبال. واشتهرت لفائدته كوكبة من الأقاصيص التي تشهد بتسربه إلى عالم اللا شعور الجماعي التونسي.
وأكدت أنه جعل من الصحة النفسية غايته الكلية، وعاش من أجلها طوال حياته، ودافع عنها في كل المعارك السياسية والاجتماعية التي خاضها.
أما الأستاذ عبد الوهاب بوحديبة فقد أشار إلى أن "الأستاذ سليّم عمار خلّف آثارا كثيرة، غنية ومتنوعة، مكتوبة تارة بالفرنسية، وطورا بالعربية، تشهد بأنّه رجلا مثقّفا، من بين أكثر رجال زمانه عبقرية، تمكّن عبر فنِّه من الإنفتاح على العالمية، والتجذر في عصره الذي شهد تحولا من أروع التحولات عبر التاريخ"
Sleïm AMMAR nous a laissé une œuvre considérable, riche, variée et cohérente. »
Ecrite tantôt en français et tantôt en arabe, elle porte aussi le témoignage qu'un intellectuel, parmi les plus doués de son temps, a porté sur son art à la fois ouvert sur la mondialité mais
« aussi accroché à une époque qui a connu une des plus formidables mutations de l'histoire
وكان ملتزما بنضاله من أجل مبادئه السامية: المعرفة والصحة والحرية والتقدم والتسامح.

شهادات متعددة

شهادات عديدة تَقِرُّ بأنه كان رجل علم ومعرفة وأعماله وإنجازاته خير دليل على ذلك. واخترت من بين تلك الشهادات اثنين:
* **الأولى** وطنية حيث أنه كان أول من "تسلم جائزة بورقيبة للمعرفة" سنة 1972 التي جاءت تتويجا للتقرير الممتاز بعنوان "الظروف العائلية الملائمة لتطور مرض الانفصام" الذي قدمه في "المؤتمر الطبي والعصبي للناطقين باللغة الفرنسية" الذي التأم بتونس سنة 1972.
« Les conditions familiales du développement de la schizophrénie »
« Congre de psychiatrie et de neurologie de langue française »
وفيه قال الأستاذ الفرنسي Pierre Pichot "هذا العمل يشهد بجودة وحسن اطلاعه على كل ما تم نشره في الأدب العلمي العالمي، كما يشهد بخبرته الطبية الكلينيكية الواسعة، وعمق نفاذه في فهم وتأويل الأحداث والنظريات".
"الكاتب يؤكد من خلاله بالخصوص على أثر التحول السريع للظروف الثقافية والاجتماعية بتونس على مقومات الشخصية ويجعل منه حقلا متميزا للمشاهدة، استخلص منه استنتاجات في غاية الحكمة والتعقل".
* **أما الثانية** فهي دولية حيث قررت المؤسسة النورفيجية في سنة 1992 تقليده بجائزة أفضل طبيب، ساهم أكثر من غيره وعلى المستوى الدولي في النهوض بالصحة النفسية للشعوب المعرضة للتحولات السريعة في الهياكل الاجتماعية والقيم الثقافية.
« Fondation norvégienne Letten F. Saugstadt »
« Le Psychiatre qui avait, dans le monde, le plus contribué par ses recherches et son action à l'évolution de la santé mentale dans les sociétés soumises à une transformation « rapide de leur structures sociales et leurs valeurs culturelles »

شهادة عن قرب

كان أول لقائي معه في دروس علم النفس الطبي في السنة الثانية من الدراسات الطبية أي السنة الجامعية 1971-1972، وتوطد اللقاء خاصة في السنة الخامسة من الدراسات الطبية أي 1975 1976، حيث كان يدرسنا مادتي علم النفس الطبي وعلم الأمراض النفسية.
كان الأستاذ سليم عمار يلقي على مسامعنا دروسا شيقة، ويضفي على الحصة لمسة من الدعابة السحرية. التي تجعل الطلبة يتعلقون بسلاسة الإلقاء بلغة مفهومة لدينا، لغة تتعانق بلطف مع مصطلحات أجنبية إفرنجية كانت إلى ذلك التاريخ مفاهيم مجردة فتقمصناها وتفاعلنا معها وأعطيناها معنى من حرارة

أنفاسنا وأصالة جذورنا.
كنت طالبا من بين الذين يلتفون في نهاية حصتهم الدراسية حول ذلك الرجل المميز. الذي يوزع علينا المطبوعات ويعفينا من مشقة الكتابة ويكلمنا بلغة فرنسية مركزة ويتناول من حين لآخر التفسير بلغتنا التونسية ليفسر لنا ما كان غامضا مبهما.
ثم أتاح لي فرصة البروز من خلال اجتماعات الأربعاء، المخصصة لتقديم المشاهدات الطبية باللغة العربية ويناقشنا فيها بمنهجية علمية وطرافة أدبية وخبرة نافذة وناجعة.

العلاج النفسي يمر من سلاسة الكلمات التي تلقى باللغة الأم

كان يردد في كل مناسبة إنه من الأفضل تدريس الطب عموما والطب النفسي خصوصا باللغة الأم La Langue Maternelle، لأن المريض الذي سنتفاعل معه والذي سيشكو لنا آلامه سيكلمنا بها.
ولا يمكن لأي كان أن يفهم معني الكلمة إلا إذا أدرك مفهوم اللغة ومدلولها الرمزي والألسني والإصطلاحي وتمكن من وضعها في إطار استعمالها.
ولن يتيسر للمحلل أن ينفذ إلى أعماق النفس إلا إذا ألف الإنصات إلى الكلمة واقتفى آثار مدلولاتها وتمكن من توظيفها وفقا لاستعمالات المريض نفسه ولغته الظاهرة والخفية.
ولن يهتدي الطبيب إلى تأويل مقاصد الأحلام وخفايا الكلمات، ما لم يكن قادرا للنفاذ إلى لغة العائد، عالما بأسرارها منتبها لمختلف نغماتها..

الأطروحة الحدث: مقالة في الماليخوليا

الأطروحة الحدث التي اهتز لها أركان المجتمع التونسي المثقف.
كان اليوم الأربعاء 16 أكتوبر 1979، يوما مشهودا، لأن المباردة فيها من الجرأة والطرافة والسبق ما جعلها تتحول إلى حدث الساعة من النواحي الإعلامية والاجتماعية والثقافية والعلمية.
وبعد حصول الموافقة الإجرائية جاء وقت العرض تَكَلَّمتُ وتكلم الأساتذة والحاضرون بالعربية وبالتونسية. وكسب الأستاذ سليم عمار الرهان، رهان التحدي رهان المعرفة والمستوى العلمي الممتاز. وعشت وعاش الأستاذ يومها يوما تاريخيا ليس له مثيل. ورشحت أطروحتي لنيل جائزة الأطروحات.
وفيها كتب الأستاذ أحمد القديدي في جريدة الرياض مقالا طويلا جاء فيه: "وتم تقديم هذه الأطروحة بإشراف الأستاذ الدكتور سليم عمار رائد تعريب الطب في تونس وأستاذ علم النفس وطب الأعصاب بكلية الطب بتونس وبحضور السيد الدكتور الصادق المقدم رئيس مجلس الأمة والدكتور عبد العزيز بن ضياء وزير التعليم العالي والبحث العلمي والدكتور الضاوي حنابلية وزير الصحة العمومية وجمع من الأساتذة ورجال الفكر والثقافة وذلك لأهمية هذا الحدث الجليل الذي يعيد للغة العربية مكانتها في خدمة العلوم الصحيحة والرجوع بها لسالف ينابيعها. وقد تألفت لجنة التحكيم من الأستاذ سليم عمار والأستاذ محمود يعقوب والأستاذ عبد الكريم بالطيب". *جريدة الرياض الدكتور أحمد القديدي*[167].
ومما قاله الأستاذ محمود يعقوب رحمه الله "لقد قرأت الأطروحة بالعربية ثم قرأتها بالفرنسية، قرأتها مرات، ذهابا وإيابا، ولاحظت أن الأطروحة بالعربية لم تكن مجرد ترجمة للنص بالفرنسية ولم تكن الأطروحة بالفرنسية مجرد ترجمة للنص العربي بل كانتا أطروحتان لكل واحدة لغتها ولكنهما كانتا في نفس الموضوع".
وتعددت الصحف التي كتبت في الحدث وتحدثت الإذاعة وأذكر بالخصوص المرحوم صالح جغام والصحفي بوجمعة السويلمي وغيرهما.
ولقد بادرت أخيرا بيت الحكمة بنشر تحقيق حول المقالة المذكورة من إعداد وتحقيق الدكتور عادل العمراني والدكتور راضي الجازي وقدم لها الأستاذ عبد الوهاب بوحديبة، وغفل هذا الكتاب عن ذكر فضل الأستاذ سليم عمار في النص وفي المراجع مع أنه هو الذي كان أول من جلب نسخة مصورة من المخطوط وذكرها في كتابه "في ذاكرة الطب العربي"، أو السيد عبد الحفيظ منصور الذي كان أول من حقق واستخرج نسخة مرقونة من الميكروفيلم.

سليم عمار وعيادة الطب النفسي بالمستشفى الجامعي فرحات حشاد

ورجعت إلى سوسة إثر وفاة والدي حين إلتحق بي الأستاذ في إحدى ليالي سبتمبر 1977 وكنت يومها طبيب الاستعجالي بالليل بقسم طب الأطفال الذي يترأسه الدكتور عبد المجيد رزق الله، رحمهما الله، وعرض علي المشاركة في مناظرة الإختصاص "ريزيدانا Résidanat " نظمتها الوزارة لخاصة الطب النفسي، كما اقترح علي فتح عيادة للطب النفسي بالمستشفى الجامعي بسوسة، تحت إشرافه وكان يتابعها عن قرب.
ثم عدت إلى الرازي ومنه تحولت لمدة سنة إلى قسم الأستاذ بيليسيي[168] حيث مكثت عاما كاملا.
ثم اعترضت طريقي أحداث أخرى كان لي الأستاذ فيها سندا قويا كأحسن وكأوفى ما يكون عليه

الرجل تجاه صديقه، وكأوفى ما يكون الأب إلى جانب ابنه، وأنا مدين له بذلك إلى تاريخ اليوم.

من نوادر سي سليم

نادرة في نضاله الوطني، رواها لنا الأستاذ سليم عمار، "كنت طالبا بالجزائر وكنت أحمل معي مجموعة مناشير وطنية وكنت بصدد التجول في السوق إذ بشرطي فرنسي مسكني من ذراعي كي لا أفلت منه بيد، وأدخل يده الثانية في جيبي وخيل إلي أنها النهاية، ولكن الشرطي سحب يده وانفجر ضحكا لأنه لم يعثر على علبة السجائر الممنوعة والتي كانت رائجة في تلك السوق السوداء".

ويُروى عليه أنه عمد في أحد الأيام إلى تنظيم حركة المرور التي غصت وتعطلت بمفترق الطرقات بوسط مدينة باردو.

كان دائم التفكير وفي حالة حركة ذهنية مبدعة لا تتوقف ولا يكترث للإصابات المتعددة التي تتعرض لها سياراته. وله نوادر عديد رواها عن نفسه في كتابه سفرات = إيتينيرار... Itinéraires.

سليم عمار الإنسان

هو رجل من عائلة عريقة، كان يحب المعرفة. مولعا بالدراسة والتدريس، يشع على كل من حوله، ويقتسم المعارف والكتب مع كل من حوله من الأصدقاء والطلبة. وكان ينتشي للحوار وللحلقات العلمية والمنتديات والمؤتمرات.

كان متعلقا باللغة الفرنسية يتقنها كما لو كانت لغة الطفولة. وكان مع تفتحه على اللغات الحية، متعلقا بجذوره وأصوله وهويته.

دائم التعطش للمطالعة والمعرفة كما تشهد بذلك مكتبته الواسعة التي كانت تعج بالكتب وتزدحم بالجديد فيضطر بين الفينة والأخرى إلى إهداء بعضها. والتي سهرت أسرته على إهدائها إلى مختلف المكتبات العمومية والكليات الطبية.

كريم في العطاء. نشيط في الحركة. له طاقة عظيمة للعمل. يحب السهر المطول إلى ساعات متأخرة من الليل، حيث تحلو له القراءة والكتابة في كنف الظلام والهدوء.

يحب الحياة كما يحب الغناء والأكل اللذيذ والرسم والفن والموسيقى.

يكن لأبنائه وأسرته وأشقائه وكل من حوله من الإطارات والموظفين والعملة عطفا كبيرا ومودة خالصة.

عندما يحل أمام قسم ابن سينا كان يملأ الفضاء بصوته وحركاته وحيويته التي تنتقل بالعدوى إلى كل من حوله.

الذكرى السنوية لوفاة الأستاذ سليم عمار

وتقديرا لمكانة الرجل باعتباره رمزا للطبيب النفسي التونسي والأستاذ الجامعي والإنسان المثقف والمناضل من أجل الحريات العامة اختارت هيئة فرع سوسة للجمعية التونسية للنهوض بالصحة النفسية أن تعطي اسم الأستاذ سليم عمار لموعد سنوي علمي وتحسيسي سميناه ملتقى سليم عمار للصحة النفسية.

وبحرص من أسرة الفقيد، وبدعمها المادي، وبتنظيم الجمعية التونسية للنهوض بالصحة النفسية، وجمعية الاتحاد الثقافي سيدي يحيى بسوسة، وبالتعاون مع كلية الطب بسوسة، وقسم الطب النفسي بالمستشفى الجامعي فرحات حشاد بسوسة، انعقدت بنزل تاج مرحبا بسوسة في الرابع عشر من شهر سبتمبر 2009، فعاليات الذكرى العاشرة لوفاة فقيد الطب النفسي التونسي الأستاذ سليم عمار، تحت إشراف كوكبة من الإطارات الجهوية والوطنية وبحضور أكثر من 200 مدعو من الأطباء والأحباء والأصدقاء.

الخاتمة

من 30 جوان 1927 إلى 06 نوفمبر 1999 عاش سليم عمار 72 سنة وشهرين و6 أيام.

وترك حوله من الآثار العلمية والسلوكية والمعرفية ما يجعله فارس تعريب الطب بتونس ومثالا للمناضل التونسي المتأصل الغيور على كل مقومات ذاته الحضارية ومنارة للطب النفسي والعربي وشاهدا على تاريخ البشرية جمعاء.

وأغتنم هذه الفرصة للتأكيد على أن الأستاذ سليم عمار هو أحد عظماء بلاده ومفخرة لتونس وللمغرب العربي والإسلامي ومن أعلام الجامعة التونسية ومن أخلص المدرسين الذين علمونا مبادئ الصحة النفسية.

وهو أهل للذكر والتقدير والاحترام.

ولقد كانت رحلتي مع سليم عمار في الماليخوليا من أهم المراحل التي ساهمت فيها مع الأستاذ في رسم معالم الطب النفسي الحديث المتفتح على المعطيات العلمية المعاصرة والمتأصل في جذور الهوية والذاتية واللغة التونسية الحديثة.

هذه الرحلة من المراحل المميزة في حياة الرجل ومن الأكيد أنه كان لها الأثر العميق في إدراك

الرضا عن النفس وهي إستجابة لطموح في ذاته ولتطلعات معاصريه من الطبقة المثقفة التونسية.

هذا البحث يمثل منعرجا في تاريخ تعريب الطب في تونس. وبنجاحه انطلقت مسيرة التعريب في تونس وامتدت اليوم إلى كل هياكل الإدارة التونسية.

فهذا البحث كان منارة في تاريخ الطب النفسي التونسي ومرحلة هامة في نشر الثقافة المتعلقة بالصحة النفسية.

وفي هذا الإطار لا يمكن أن نذكر مصطلح الصحة النفسية دون أن نذكر مؤسس المدرسة الطبية المعاصرة الأستاذ سليم عمار.

ويطيب لي، في هذه الندوة العلمية الممتازة، أن أشكر أقطاب الطب النفسي بالمملكة المغربية وبكلية الطب بفاس وكل الحاضرين معنا لتقديرهم لرجل أحببناه وقدرناه وبالخير في هذا الملتقى ذكرناه.

وأختم قولي ببيتين من الألفية في الأمراض النفسية لسي سليم:

وأرجو من القارىء تجاوز الهينات
حيث أمضيت فيها عديد السنوات
ويكفيها فخرا على مر الزمان
أنّه لم يقله في السابق إنسان. و السلام.

3-VI. السيرة الذاتية للدكتور شمس الدين حمودة
دكتور في الطب، اختصاصي في الطب النفسي

1- الهوية العنوان:

الاسم واللقب: شمس الدين بن المبروك حمودة.

تاريخ الولادة: 6 أكتوبر 1952 بتونس.

الحالة المدنية: متزوج واب لبنتين وثلاثة أولاد.

الوضعية المهنية الحالية:

دكتور في الطب، اختصاصي في الطب النفسي.

له عيادة خاصة في الطب النفسي بسوسة.

العنوان: عدد 11 نهج بنزرت 4000 سوسة

الهاتف: 73223728 الفاكس: 73226932

الجوال: 95468200

العنوان الإلكتروني: ch_hamouda@yahoo.fr

الدراسات الجامعية:

كلية الطب بتونس: أكتوبر 1969 إلى جوان 1976

شهادة نجاح في السنة الأولى العلوم الطبيعية.

شهادة نجاح في السنة الأولى التحضيرية للدراسات الطبية.

شهادة الدكتوراه في الطب: "حول مقالة اسحاق بن عمران في الماليخوليا".

شهادة الاختصاص في الطب النفسي: 22 ديسمبر 1983.

شهادة الإجازة في اللغة الانكليزية بمعهد بورقيبة للغات الحية بسوسة: 12 جويلية 1990.

المسار المهني:

طبيب داخلي في المستشفيات التونسية: الرابطة، شارل نيكول، المنستير وسوسة.

طبيب مقيم بمستشفى الرازي بمنوبة.

أستاذ مساعد أجنبي في مستشفيات باريس.

عيادة خاصة في الطب النفسي منذ سنة 1987.

الطبيب المؤسس لأول عيادة في الطب النفسي بالمستشفى الجامعي فرحات حشاد بسوسة منذ سنة 1978.

عضو مؤسس للجنة الجهوية للمعاقين بسوسة.

أستاذ محاضر بالجامعة الصيفية بدبروفنيك بيوغسلافيا 18 – 26 مارس 1989.

المسار الاجتماعي:

عقد عمل مع المعهد الوطني لرعاية الطفولة بتونس 1983 – 1984.

عضو اللجنة الجهوية للثقافة بسوسة.

عضو مؤسس للجنة الجهوية للمعاقين بسوسة.

المسار الجمعياتي:

عضو مؤسس للجمعية التونسية لحماية الطبيعة والبيئة بسوسة.

عضو مؤسس للجمعية التونسية للنهوض بالصحة النفسية.

رئيس بلدية بني حسان 1990- 1995.

نائب 3 رئيس بلدية بني حسان 2018 – 2023.
رئيس جمعية البرق الرياضي الحساني 1991 – 1992.
عضو جمعية الصداقة التونسية الألمانية.
رئيس مؤسس للجمعية التونسية الألمانية للتنمية والثقافة.
رئيس مؤسس للجمعية التونسية لرعاية ضحايا الاضطهاد والتعذيب.
عضو مؤسس للجمعية التونسية للإدماج المدرسي.
عضو مؤسس بالمجلس الجهوي لعمادة الأطباء بسوسة.
عضو سابق في نقابة الأطباء بسوسة.
عضو في جمعية الأطباء النفسانيين.
عضو في جمعية الأطباء النفسانيين الإستشفائيين الجامعيين.
قائد تدريب بالكشافة التونسية.
منشط ومنتج إذاعي متطوع من 1983 إلى 2011.
المدير المؤسس لسبعة مراكز "الحمائم" للتربية المختصة للأطفال المتوحدين.
الأوسمة والتشريفات

وسام الاستحقاق الكشفي.
جائزة الشارفة للعمل التطوعي (30 ديسمبر 2008).
وسام الاستحقاق في قطاع الطفولة (11 جانفي 2011).
جائزة اتفاقية التوأمة بين بني حسان وشونينقان الألمانية (26 مارس 1995).
وسام الرواد والأحباء.
وسام عمادة الأطباء.

البحوث والدراسات:
أكثر من 100 بحث في مختلف مجالات الصحة النفسية وخاصة في المواضيع التالية:

الصحة النفسية.
مراحل النمو.
مشكلات الشباب. الصحّة النفسية للشباب.
مشكلات المرأة المعاصرة.
الوقاية من السلوكات المحفوفة بالمخاطر.
الطفولة المهددة.
الطفولة الجانحة.
استغلال الطفولة.
مشكلات المسنين. الصحة النفسية للمسنين.
التوحد أعراضه أسبابه وكيفية رعاية الأطفال ذوي التوحد.

أكثر من 100 مقالة صحفية.
أكثر من 20 بحث علمي تم نشره.
أكثر من 80 محاضرة مكتوبة على شرائح.
الخاتمة:
الدكتور شمس الدين حمودة، من مواليد 1952، طبيب تونسي تميز في عدة مجالات:
فهو رب أسرة ومواطن تونسي فاعل في المجتمع المعاصر.
وهو طبيب نفساني تميز مساره المهني بالبعد الانساني والاجتماعي من 1976 إلى 2018.
واشتهر في مجال العمل المدني التطوعي والجمعياتي.
بالإضافة إلى سمعته واستقامته وتجدد تطوعه لخدمة الغير والمصلحة العامة.

الفهرس

المقدمة 3
الإهداء 4 رسم يدوي لسليم عمار بريشة الهادي التركي 7
قسم أبقراط 10
الدكتور شمس الدين حمودة يؤدي قسم أبقراط 11 هيكل الدراسة 13
I- المقدمة: تاريخ الطب 14
I-1 أهمية دراسة تاريخ الطب 15
I-2 تاريخ الطب عند العرب 20
II- حياة إسحاق بن عمران 23
III- تاريخ مرض الماليخوليا 28
III-1 المرحلة الأولى:
ما قبل إسحاق بن عمران 30
III-2 المرحلة الثانية: من الحضارة الإسلامية والقرون الوسطى إلى غاية القرن السابع عشر 41
III-3 المرحلة الثالثة:
من أسكيرول إلى طسطفان 49
III-4 المرحلة الرابعة: التاريخ المعاصر 54
IV- دراسة وتحليل المخطوط 64
IV-1 تقديم المخطوط 65
محتوى المقالة 165-
ب- موضوع بحثنا 66 IV-2 تحليل المقالة الأولى 69
IV-2-أ المقدمة 69
IV-2-ب التعريف بالماليخوليا 69
IV-2-ج أسباب الماليخوليا 71
IV-2-د الأصناف المرضية 75
IV-2-ه الأصناف السريرية 76 IV-2-و تعاليقنا حول المقالة الأولى
83
IV-3 تحليل المقالة الثانية 90
IV-3- أ المقدمة: فن العلاج 90
IV-3- ب قواعد العلاج 90
IV-3- ج أنواع العلاج 91
IV-4 دراسة تحليلية عامة 113
IV-5 تحليل في المرض النفسي المقارن 126
V- الخاتمة 130
VI- المراجع والملاحق 142
VI-1. المراجع باللغة العربية 143
VI-2. رحلة مع سليم عمار في مركبة الماليخوليا 146
VI-3. السيرة الذاتية للدكتور شمس الدين حمودة 156
VI-4. الفهرس 159

Notes

[←1]

كما تبنته الجمعية الطبية الاسلامية بالولايات المتحدة وكندا في مجلتها عدد1 المجلد التاسع أفريل 1978.

[2 ←]

"مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿32﴾"
سورة المائدة الآية 32.

[←3]

Marcel Sendrail, né le 31 août 1900 à Toulouse et mort le 4 juin 1976 dans la même ville, est un médecin et écrivain français. Sages et mages : le savoir et les secrets de la vie, collection « Le corps et l'esprit », Hachette, Paris, 1971.

[←4]

1 ألكسيس كاريل جراح وعالم فرنسي في علم الأحياء، الإنسان ذلك المجهول L'Homme, cet inconnu, Plon, Paris, 1941 . (1873– 1944)

[← 5]

2 ليبنيتز فيلسوف ورياضي ألماني (1646 – 1716) .

[←6]

لويس باستور: (Louis Pasteur) عالم كيميائي فرنسي وأحد أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة في الطب، ويُعرف بدوره المميز في بحث أسباب الأمراض وسبل الوقاية منها. ساهمت اكتشافاته الطبية بتخفيض معدل وفيات حمى النفاس وإعداد لقاحات مضادة لداء الكلب والجمرة الخبيثة، كما دعمت تجاربه نظرية جرثومية المرض.

[← 7]

1أوقست كونت (1798 – 1857) فيلسوف فرنسي مؤسس علم الاجتماع .

[←8]

Erwin Heinz Ackerknecht (1906 - 1988, Zurich) trotskiste actif et influent dans les années 1930 qui a dû fuir l'Allemagne en 1933 après l'arrivée de Hitler au pouvoir. C'est aux États-Unis, qu'Ackerknecht est devenu un historien influent de la médecine. Il a écrit des ouvrages novateurs sur les dimensions sociales et écologiques de la maladie et ce qui est un précurseur des tendances contemporaines de l'histoire sociale et culturelle.

[9←]

ليتري طبيب مؤرخ معجمي فرنسي (1801– 1881).

[← 10]

. Constantin l’africain.. Ecole de Salerne

[←11]

الطب النفسي الثقافي يهتم بالمريض وعلاقته بالوسط الثقافي ويرتبط بدراسة الأسباب ونوع وكثرة تردد وتطور الأمراض النفسية في حدود وحدة ثقافية معينة.

[← 12]

الطب النفسي عبر الثقافيات (أو فوق الثقافات) يهتم بالمظاهر المتضاربة والمتناسبة للطب النفسي عبر حاجز الزمان والمكان

[←13]

L'Information psychiatrique N°3 Mars 1979, France.

[←14]

كان بختيشو ابن جبريل طبيب الخليفة المأمون وصحبه حتى اليونان ثم تعلق بالمتوكل الذي كان صديقه.

[←15]

أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن البيطار ضياء الدين المالكي (والمعروف باسم ابن البيطار، 1197–1248 م) – كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية أشهر كتبه، وهو موسوعة في الصيدلة تحتوي على وصف مفصل لأكثر من 1,400 نوعاً من الأعشاب والأطعمة والعقاقير الطبية.

[← 16]

في كل الأدب والكتابات المصرية القديمة لم نعثر إلا على ستة انتحارات، حسب هنكوف Hankoff

[←17]

Hippocrate.

[←18]

Polybe, en grec ancien Πολύβιος / Polúbios Vers 206 – 124 av. J.-C. Mégapolis . Époque hellénistique - Grèce - Mathématicien, historien, écrivain, homme d'État. Il est sans doute le plus grand historien grec de son temps.

[← 19]

الخربق HELLEBORE–ELLEBORE

جنس زهر من فصيلة الشقاريات، ورقه كلسان الحمل أبيض وأسود وهو سم للكلاب والخنازير. أما للناس فالأبيض منه يقيء والأسود يسهل المعدة. وله مفعول مقو للقلب. (المنجد).

[← 20]

(2)اليبروجMANDRAGORE:

نبات من جنس الباذنجانيات كان في القديم يعتقد أن له مفعول سحري ضد العديد من الأمراض. يستخرج منه دواء مسكن ومنوم ومضاد للآلام لم يبق له أي استعمال في الأدوية المعاصرة. (المنجد).

[←21]

الخشخاش المنشور، نبات عشبي من فصيلة الخشخاشيات يستخرج منه دواء منوم ومخدر، Papaver Rhoeas.

[← 22]

الأفسنتين Artemesia Absinthium نبات من المركبات الأنبوبية الزهر، ذكي الرائحة مر الطعم، تستعمل في الطب للهضم والإدرار وطرد الدود وتستعمل في صنع شراب كحولي (المنجد).

[←23]

الأفيون Opium عصارة لبنية تستخرج من الخشخاش يستعملها المدمنون للتخدير وبها مادة منومة ومضادة للتقلص وللآلام (المنجد).

[←24]

الألوة = الصبار، Aloes ، نبات من فصيلة الصباريات، تتفرع منه ألواح شائكة مهده الأصلي المكسيك، يستخرج منه عصار مسهل مطهر ومفرغ للصفراء (المنجد).

[← 25]

الكمادة = خرق من القماش تبلل بالماء الساخن أو البارد حسب الحاجة وتوضع على مكان الإصابة للعلاج المحلي وتخفيف الألم.

[←26]

N.F.J. Eloy, *Dictionnaire historique de la médecine ancienne et moderne*, 1778

[←27]

أسكليبيوس، صقلاب، Esculape Asclépios

[←28]

Sénèque, De la providence, VI : « Souffrez avec courage ; par là vous l'emporterez sur moi-même : je suis en dehors de la souffrance ; vous êtes, vous, au-dessus d'elle.»

[←29]

راوول بنُون Raoul Louis Benon في كتاب الماليخوليا تاريخ مظاهر طب شرعي وعلاج – كتاب فرنسي – فرنسا 1937.

[← 30]

J**ean Starobinski**, né le 17 novembre 1920 à Genève (Suisse), est un historien des idées, théoricien de la littérature et médecin psychiatre suisse. Ayant suivi des études de lettres classiques et de psychiatrie à l'université de Genève (Suisse).

[←31]

انظر كتاب شمس العرب تسطع على الغرب لزقريد هونكه، منشورات المكتب التجاري بيروت 1969.

[←32]

القانون في الطب هو كتاب ألفه ابن سينا، وبقي لفترة طويلة المرجع الأساسي لتدريس الطب في مختلف جامعات العالم، قال ابن سينا عن سبب تأليفه هذا الكتاب: "فقد التمس مني بعض خلّص إخواني، ومن يلزمني إسعافه بما يسمح به وسعي أن أصنف في الطب كتاباً مشتملاً على قوانينه الكلية والجزئية اشتمالاً يجمع إلى الشرح والاختصار وإلى إيفاء الأكثر حقه من البيان الإيجاز فأسعفته بذلك"

[←33]

شُبَاط هو الشهر الثاني من شهور السنة الميلادية حسب الأسماء العربية الفصحى الواردة في المعاجم العربية ، وحسب الأسماء السريانية المستعملة في المشرق العربي. يقابله في التسمية الغربية شهر فبراير أو فيفري.

[←34]

القانون في الطب مرجع طبي عربي جامع صنفه ابن سينا حوالي عام 1020 م، وبقي حتى مطلع القرن السابع عشر المرجع الأساسي لتدريس الطب في جميع مدارس الطب حول العالم. نسختان: احداهما (A1000) طبعت إبان عهد جوتنبرج (1503) والأخرى (5753) منسوخة بخط اليد (1820) في حيدر أباد.

[←35]

Ioannis Kassianos, appelé Jean Cassien en français, né en 365 en Scythie mineure (actuelle Dobrogée roumaine), et mort en 435 à Marseille, est un moine et homme d'Église méditerranéen qui a marqué profondément les débuts de l'Église en Provence au Ve siècle. Il est le fondateur de l'abbaye Saint-Victor de Marseille.

[←36]

Hildegarde de Bingen (en allemand : Hildegard von Bingen), née le 16 septembre 1098 à Bermersheim vor der Höhe près d'Alzey (Hesse rhénane) et morte le 17 septembre 1179 à Ruppertsberg (près de Bingen), est une religieuse bénédictine mystique, compositrice et femme de lettres franconienne, sainte de l'Église catholique du XIIe siècle.

[←37]

Anne Charles Lorry, De melancholia et morbis melancholicis… Description matérielle : 2 t. en 1 vol. Édition : Lutetiae Parisiorum : P.-G. Cavelier , 1765.

[←38]

Lypémanie كلمة يونانية الأصل مركبة معناها جنون الأسى.

[←39]

يوضع المصاب في كرسي دائر حتى يبعثه دوران الكرسي على أن يتقيأ ويصفر وجهه ليعتقد أنه تخلص من مرضه.

[←40]

رغم أن مفعول الموسيقى، لم يقع تفسيره بعد، بل إن هنالك من نفى مفعولها أصلا وهنالك من يحذر منها.

[←41]

Alexandre-Jacques-François Brière de Boismont, né le 18 octobre 1797 à Rouen, mort le 25 décembre 1881 à Saint-Mandé, est un médecin psychiatre français.

Docteur en médecine à la faculté de Paris en août 1825. Il devient l'un des aliénistes les plus renommés de la capitale. Il est l'un des membres fondateurs de la Société médico-psychologique en 1852.

Son premier traité, intitulé *É*léments de botanique rédigé en collaboration avec André Pottier en 1825, porte sur la botanique médicale et industrielle. La plupart de ses ouvrages portent sur les maladies mentales ; plusieurs ont connu un grand retentissement. Du délire aigu qu'on observe dans les établissements d'aliénés est ainsi honoré d'une médaille d'or par l'Institut en 1845.

[←42]

Jules Baillarger (1809–1890). Médecin aliéniste, élève d'Esquirol, il fut un des co–fondateur des Annales médico–psychologiques en 1843. Il a beaucoup travaillé sur les hallucinations et fut un des acteurs de la discussion de 1855 sur la nature de celles–ci. Mais il publia également d'importants travaux sur la mélancolie et la folie à double forme, appelée aujourd'hui troubles bipolaires.

[←43]

Louis Jean Francois Delasiauve (né le 14 octobre 1804, à Garennes-sur-Eure - mort le 5 juin 1893, à Paris1) est un psychiatre français, et un pionnier de la pédopsychiatrie. Il est un défenseur de l'éducation pour les handicapés mentaux. Il est surtout connu pour ses recherches sur l'épilepsie.

[←44]

Jean-Pierre Falret, né le 26 mai 1794 et mort le 28 octobre 1870 à Marcilhac-sur-Célé, est un psychiatre français, membre de l'Académie de médecine et fondateur de l'Œuvre Falret. Il identifie les symptômes et le fonctionnement des troubles bipolaires qu'il nomme « folie circulaire ». Il fut également un des pionniers dans le champ du médico-social avec la création de structures pour l'accompagnement des personnes en dehors du milieu hospitalier.

[←45]

Le syndrome de Cotard est une maladie rare se présentant sous la forme d'un syndrome délirant décrit en 1880 par le neurologue français Jules Cotard1 (1840−1889), observé au cours de syndromes dépressifs graves appelés syndromes mélancoliques.

[← 46]

La Schizophrénie.

[←47]

La Psychose maniaco–dépressive (PMD)

[←48]

Eugen Bleuler, né à Zollikon (canton de Zurich, en Suisse) le 30 avril 1857 et mort dans la même ville le 15 juillet 1939, est un psychiatre suisse. Il est connu pour avoir inventé et introduit dans le vocabulaire psychiatrique les termes de schizophrénie1 et d'autisme.

[←49]

J. Tastevin, Les émotions afflictives 1913, Partie 4 (Revue des sciences psychologiques. Psychologie, psychiatrie, psychologie sociale, méthodologie…)..

[←50]

Sacha Nacht, né le 23 septembre 1901, mort le 25 août 1977 à Paris, est un psychanalyste français. Il a été président de la Société psychanalytique de Paris.

[←51]

Paul-Claude Racamier, né le 20 mai 1924, décédé le 18 août 1996 (à 72 ans) à Besançon, est un psychiatre et psychanalyste français qui est à l'origine de l'identification de la perversion narcissique.

[←52]

Sacha NACHT, Guérir avec Freud, Editeur Payot, Paris , 1971

[←53]

Inhibiteurs de la mono amino oxydase : I.M.A.O.

[←54]

Les monoamines sont des neurotransmetteurs dérivés d'acides aminés, comportant un groupement éthylamine (amine NH2 lié par un pont C2H5) lié à un noyau aromatique. On distingue notamment les catécholamines et les tryptamines (dont la sérotonine) respectivement dérivés de la tyrosine et du tryptophane. Leur localisation est principalement dans le système nerveux central, où ils jouent un rôle de neuromodulation. Les monoamines sont particulièrement impliqués dans la régulation des états de vigilance et de l'humeur. La fonction de la monoamine n'est pas claire, mais on pense qu'elle déclenche des éléments essentiels tels que les émotions, l'excitation et la cognition. Leur dégradation se fait par les monoamine oxydases A et B. Une cellule possédant des monoamines est appelée cellule entérochromaffine.

[←55]

Une endorphine (de l'abréviation endogenous morphine — morphine endogène) est un neuropeptide opioïde endogène, c'est-à-dire un peptide agissant comme un neurotransmetteur, produit par le corps, agissant sur les récepteurs opiacés, sans toutefois être chimiquement apparenté aux composés de l'opium. Les endorphines sont sécrétées par le complexe hypotalamo-hypophysaire chez les vertébrés lors d'activité physique intense, excitation, douleur et orgasme. On les retrouve entre autres dans le cerveau et la moelle épinière ainsi que dans le système digestif. Comme les opiacés, et en particulier la morphine (d'où leur nom), elles ont une capacité analgésique et procurent une sensation de bien-être voire d'euphorie. On compte dans cette famille principalement cinq composés : α-endorphine, β-endorphine (en), γ-endorphine (en), α-néoendorphine et β-néoendorphine.) D'après Wikipédia)

[←56]

La pro-opiomélanocortine (ou POMC), que l'on retrouve dans l'hypothalamus, est une chaîne de 241 acides aminés qui peut être scindé à différents endroits par de enzymes appelées prohormone convertases. L'un de ses dérivés de 90 acides aminés, la bêta-lipotropine, avait déjà été isolée en 1964 par le biochimiste C. H. Li. Mais ne sachant quelle fonction lui attribuer, celle-ci était demeurée sur les tablettes pendant 7 ans avant qu'il ne comprenne qu'elle était, entre autres, un précurseur de la bêta-endorphine. Celle-ci, avec ses 31 acides aminés, est la plus longue de sa famille qui compte aussi l'alpha, la gamma et la sigma-endorphine.

D'après l'article, LES MOLÉCULES QUI PRODUISENT LA DOULEUR, adresse internet, http://lecerveau.mcgill.ca/flash/i/i_03/i_03_m/i_03_m_dou/i_03_m_dou.

[←57]

Roger Charles Louis GUILLEMIN, Physiologiste américain d'origine française, Prix Nobel de physiologie ou médecine en 1977 (conjointement à Andrew Schally et Rosalyn Yalow) pour ses recherches sur les hormones hypothalamiques.

Roger Charles Louis Guillemin est né le 11 janvier 1924 à Dijon. Il a confirmé l'hypothèse selon laquelle l'hypothalamus sécrète des hormones qui régulent l'activité de la glande hypophyse. Parmi les hormones hypothalamiques qu'il a découvertes, isolées, analysées ou synthétisées avec ses collaborateurs figurent la TRH (thyrotropin-releasing hormone ou thyréolibérine), qui stimule la sécrétion par l'hypophyse de TSH (thyréostimuline), hormone régulant l'activité de la thyroïde ; la GHRH (growth hormone releasing hormone), qui stimule la sécrétion d'hormone de croissance par l'hypophyse ; et la somatostatine, qui régule l'activité de l'hypophyse et du pancréas. Roger Guillemin a découvert également une famille importante de protéines, les endorphines, qui agissent au niveau de la perception de la douleur.

[←58]

Émile Littré1801−1881)) médecin, lexicographe, philosophe et homme politique français, surtout connu pour son Dictionnaire de la langue française, communément appelé « le Littré ».

[←59]

L'enképhaline (ou encéphaline) est un neurotransmetteur, faisant partie de la catégorie des neuropeptides plus spécifiquement des opioïdes endogènes, qui est libéré par des neurones lors d'une sensation douloureuse trop intense.

[←60]

Une endorphine (morphine endogène) est un peptide agissant comme un neurotransmetteur. Les endorphines sont sécrétées par le complexe hypotalamo–hypophysaire chez les vertébrés lors d'activité physique intense, excitation, douleur et orgasme. Comme les opiacés, elles ont une capacité analgésique et procurent une sensation de bien–être voire d'euphorie. On compte dans cette famille principalement cinq composés : α–endorphine, β–endorphine (en), γ–endorphine (en), α–néoendorphine et β–néoendorphine.

[←61]

انظر مقالة الأستاذ سليم عمار في مجلة تونس الطبية عدد 6 نوفمبر – ديسمبر 1975، بعنوان الطب النفسي الشعوبي والطب النفسي الثقافي.

[←62]

انظر الصفحة 3 من المخطوط.

[←63]

دم الطمث = دم الحيض.

[←64]

وذكر ابن عمران أن عدة أمثلة مثل النقرص والقولنج والملاريا وذات الجنب والرمد والقروح... إلخ.

[←65]

الجريرة: الجناية والذنب.

[←66]

اللحظ بالجفون: النظر بمؤخرة العين عن اليمين أو عن اليسار.

[←67]

Physiopathologie

[←68]

Epilepsie

[←69]

Maladie convulsive – Convulsion

[← 70]

Phrénitis.

[← 71]

Syndrome de Cotard

[← 72]

إغْمَاضُ= مصدر من أغمض. أغمض الحقيقة = أخفاها. أغمض الشيء = لم يظهر.

[← 73]

النظر = علم الكلام والاستدلال.

[←74]

سمت المشرق = اتجاه المشرق، في طريق الشرق.

[←75]

ريح الصبا = هي الريح التي تهب من الشرق.

[← 76]

الصفحة 33 – السطر 9– من المخطوط المحفوظ بميونيخ.

[←77]

البنادق : جمع بندقة، مركبات دوائية تحتوي على مستخرجات أعشاب وتصنف في شكل البندقة. والبندقة ثمرة معروفة بشجرة البندق لوزية الشكل لذيذة الطعم من فصيلة البلوطيات. (المنجد).

[← 78]
المثقال، وحدة وزن، تساوي وزن درهم و نصف درهم. والدرهم قطعة من الفضة مضروبة للمعاملات (يونانية). (المنجد).

[← 79]

الهيليج الهندي: نبات هندي قديم مستعمل كعشب للتداوي والهيليج أربعة أصناف أصفر وهندي وكابلي وصيني. الأصفر منه يسهل المرة الصفراء والأسود يسهل المرة السوداء والعفص يدبغ المعدة (حسب ابن البيطار).

[←80]

الأهليلج أشجار استوائية مختلفة من جنس(Terminalia) ، يضُم حوالي 100 نوع موزعة في المناطق المدارية من العالم، وهو من الفصيلة القمبريطية أو فصيلة اللوزيات الهندية.(Combretaceae)

الهليلج له أنواع كثيرة منها الاصفر الفج ومنها الأسود والأسود الهندي وهو البالغ النضج وهو أسمن، ومنه كابلي وهو أكبر الجميع، تستخدم هذه الثمار وأجزاء أخرى من الشجرة مثل اللحاء في الصباغة والدباغة وصناعة الحبر وفي الطب.

[←81]

الأفتيمون: هو زهر صنف من النبات شبيه بالزعتر وله رؤوس خفاف دقاق لها أذناب شبيه بالشعر.
كان يستعمل قديما لاسهال المرة السوداء (ابن البيطار)

[←82]

scammonia = scammonée d'Alep، من فصيلة المحموديات Convolvulacées، كان عصير الجذر مذكورا في دستور الصيدلية الفرنسية إلى حد 1937، ويستعمل للإسهال (أمين رويحة – التداوي بالأعشاب).

[←83]

لعله يقصد تخلط أو تمزج أو تُلفُّ.

[←84]

اللوز الحلو: شجرة من فصيلة اللوزيات حبته مستطيلة لذيذة الطعم وتصنع منه أصناف من الحلويات (المنجد)

[←85]

(1) القرع cucurbita pepo ، نبات سنوي من فصيلة القرعيات ثماره مستطيلة مستقيمة أو منحنية أو مستديرة صالح للأكل. ويستعمل لعلاج تضخم البروستات عند الشيوخ ولعلاج الدودة الوحيدة. ويستخرج من حبه دهن مفتر (المنجد – أمين رويحة)

[←86]

السمسم: حبة تؤكل ويستخرج منها زيت مسجل في عدة دساتير للأدوية تستعمل للدلك أو لحل بعض الأدوية الدهنية (المنجد). ويعتبر السّمسم من أشهر أنواع الحبوب التي يتمّ استخدامها في الطّعام حيث يصنع منه الزّيت والطّحينة، كما يعتبر من الزّيوت التي استخدمت في الطّبخ منذ آلاف السّنين، وتحتوي بذور السّمسم على مواد مضادّة للأكسدة، والدّهون الأحادية غير المشبعة، والكثير من المعادن مثل الكالسيوم، والنّحاس، والحديد، والمغنيسيوم، والزّنك، والفيتامينات مثل فيتامين ب، ولهذا السّبب يستخدم زيت السّمسم في الكثير من الاستعمالات الطّبيّة العلاجيّة نتيجة الخصائص التّركيبيّة لبذرة السّمسم.

[←87]

البنفسج violettes ، أزهار سنوية أو معمرة مشهورة بدوام أزهارها اللطيفة يستخرج منها دهن يصلح كعطر ويستعمل في الطب كملين (المنجد).

[←88]

العسل: لعاب النحل.

[←89]

الزبيب: العنب المجفف.

[←90]

الشيح والشيوح، نباتات كثيرة وكلها طيبة الرائحة (المنجد).

[←91]

غاريقون: Agarikon– Agaric هو أصل شبيه بأصل الأنجدان وهو صنفان ذكر وأنثى ويستعمل لعلاج الكبد والكليتين واليرقان هو نافع لنهشة الأفعى (ابن البيطار).

[←92]

بسفايح بسفايح – Beech Fern Wall Fern هو نبات ينبت بين الصخور وفي سوق شجر البلوط وهو صالح لاسهال المرة السوداء (ابن البيطار).

[←93]

المثقال: وحدة وزن تساوي وزن درهم ونصف درهم.

[←94]

الشاهترج: Fumeterre ، نبات سنوي بالحقول له أزهار وردية صغيرة بها شوكة يسمى كذلك بقلة الملك وهي بقلة حمقاء برية ويستعمل ماؤها لإسهال المرة السوداء (ابن البيطار).

[←95]

الدرهم قطعة من فضة مضروبة للمعاملة وتستعمل كوحدة وزن وتزن ما بين 2 و 5 غرامات .

[←96]

الخيار Cucumis الواحدة خيارة نبات سنوي عشبي من فصيلة القرعيات تؤكل ثمرته قبل أن تنضج (المنجد)
وخيار شنبر نبات من فصيلة القرنيات له ثمر كالخرنوب يكثر في الجزيرة العربية ومصر يستعمل في الطب كملين لطيف يزرع أيضا للتزيين (المنجد)

[←97]

ترنجبين هو العاقول ينبت بالشام وخرسان ذو ورق أخضر ونواره أحمر لا يثمر المختار منه ما كان أبيضا خراسانيا ملين للطبيعة نافع من الحميات (ابن البيطار).

والترنجان Citronnelle نبات من فصيلة الشفريات عطري الرائحة ينبت بريا في أروبا الجنوبية والشرق الأوسط يستعمل كالمشروبات الروحية له فوائد طبية (المنجد)

[←98]

السيسبان: شجر عريض الورق أبيض الزهر واسعة من فصيلة القطنيات يتداوى بحبه لتفتيت حصا المثانة (المنجد).

[←99]

العناب: جمع عنابة جنس شجر من فصيلة النبقيات، شائك جدا، حبه يشبه الزيتون، وأجوده الأحمر الحلو، يستعمل أكلا وعلاجا.

[←100]

السوسن– Fleur Iris جنس زهر مشهور من فصيلة السوسنيات كثير التنوع ومنتشر في النصف الشمالي من الكرة الأرضية غالبا ما تكون أزهاره كبيرة ولامعة اللون وهي حسب الأنواع بنفسجية وبيضاء وصفراء يزرع كثيرا من هذا الجنس في الحدائق (المنجد).

[←101]

الخطمي Guimauve زهر من فصيلة الخبازيات له ساق طويلة مستقيمة تحمل أزهارا جميلة حمراء وبيضاء مهده الأصلي الشرق الأوسط (المنجد).

[← 102]

الملوخيا نبتة سنوية من فصيلة الزيزفونيات من أصل هندي لها ثمار مستطيلة وأزهار صغيرة صفراء أوراقها تطبخ وهي من الخضار المفضلة في الشرق الأوسط وخاصة في مصر (المنجد).

[← 103]

التربد نبات عراقي مجلوب من خرسان ورقه على هيئة البلاب إلا أنه محدد الأطراف وله سوق قائمة كان يستعمل في القديم لإسهال البلغم وتنقية البدن وأجوده ما كان أبيضا (ابن البيطار).

[←104]

أنيسون = اليانسون = Anis نبات ذو رائحة عطرة تستعمل حبوبه لصنع المشروبات والحلويات يستخرج منه دهن عطري ويستعمل ورقه في الشاي (المنجد).

[←105]

كهرباء وكهربا = نبات في صنفان احدهما يجلب من بلاد الروم والآخر من الاندلس عند سواحل البحر تحت الأرض عند أصول الدوم. استعمله جالينوس وديوسقوريداس وابن عمران وابن سينا وغيرهم لحبس النزيف وضد خفقان القلب الكائن من المرة الصفراء وضد آلام البطن والمعدة (ابن البيطار).

[←106]

البسد نبات بحري وقد يوجد في الجبل، وأجود ما يكون منه الأحمر الشبيه بالجوهر. هو نبات له رائحة شبيهة برائحة الطحلب البحري كثير الأغصان شبيه في شكله بشجرة السليخة. يجلو آثار القروح العارضة في العين ويوافق من به عسر البول ويستعمله ابن عمران محروقا لحفر الأسنان وتقوية اللثة ونفث الدم (ابن البيطار).

[←107]

العود هو خشب يؤتى به من بلاد الهند، طيب الرائحة يتبخر به. طبيخه طيب النكهة ينفع في وجع الجنب والمعدة (ابن البيطار).

[←108]

كزبرة، بقلة من فصيلة الخيميات مهدها الأصلي اروبا الجنوبية. أوراقها وردية اللون أو بيضاء. بزرها من الأفاوية يستعمل كتابل ويدخل في تركيب بعض المشروبات. وكزبرة البئر نبات من السراخس له ورق رقيق وساق دقيقة ملساء كالشعرة ينمو في الكهوف وعلى ضفاف العيون (المنجد).

[←109]

لؤلؤ الكحل، هو حجر يخالطه الرصاص أسود صلب براق كحلي اللون يخلط في الأدوية التي تنفع العين وتروحها وتقطع الرعاف (ابن البيطار).

[←110]

الورد Rose هي زهرة لنبات من فصيلة أجنبية اسمه الوردية وأزهار الوردية ظاهرة الألوان تجتمع في أعناق في آخر الغصن. تنبت في الحدائق وفي الأماكن الشمالية من الأرض (المنجد).

[←111]

طباشير هو رماد أصول القنا الهندي لونه أبيض يقطع القيء الكائن من المرة الصفراء وينفع من القروح والبثور والبواسير (ابن البيطار).

[←112]

مصطكي، lentisque شجر له ثمر يميل طعمه الى المرارة ويستخرج منه صمغ يعلك. استعمل لنفث الدم واستطلاق البطن وقرح الأمعاء ونزف الدم ويزيل حديث النفس (ابن البيطار).

[←113]

الزرنباد، نبات معروف عند الصيادلة ويعرف بمكة بعرق الكافور. يحلل الرياح النافخة ويقوي القلب ويريح من فساد الفكر السوداوي (ابن البيطار).

[←114]

درونج، هو نبات له ورق على الأرض يشبه ورق اللوف. يخرج في وسط الورق قضيب أجوف طوله ذراعان وأكثر ومع طول القضيب قلة الورق خمس ورقات أو أقل متباعدة والورق على القضيب أضيق وأطول من الذي على الأرض وعلى طرف القضيب زهرة صفراء. ويستعمل هذا النبات في علاج الماليخوليا وأوجاع الرحم (ابن البيطار).

[←115]

السكر: Sucre ماء القصب أو عصير الرطب ونحوها اذا غلي واشتد. (المنجد).

[←116]

الحبق ocimum basilicum نبتة عطرية من فصيلة الشفويات تعرف أيضا بالريحان من أصل هندي تستعمل للزينة وفي صناعة المشروبات (المنجد).

[←117]

الباذروج: ويسمى البادروج عند أهل فارس، ريحان معروف يلين البطن ويدر البول واللبن ويولد الرياح وقال ابن سينا فيه قوى متضادة

والبزر حبة تحصل من لقح البيضة وتكون مفصولة عن الثمرة وتطلق أيضا على الثمرة اليابسة (ابن البيطار).

[←118]

المَصطَكى أو المَصْطَقَى أو المُصْطَكاء أو المستكة (من اليونانية mastikhān· [مَستيخان ·· مَضغ) هو شُجيرة من عائلة الفُستقيّات تنمو في المناطق المتوسطية، ذات ثمار حمراء ثم سوداء.

من أسمائها أيضا Pistacia lentiscus، Lentisco، lentisque

[←119]

النعنع = النعناعMenthe ، بقل طيب الرائحة من فصيلة الشفويات يعيش في المناطق المعتدلة. منه أنواع تستعمل في التوابل ولصنع الكحول والأقراص المفيدة للصدر. (المنجد).

[← 120]

الفودنج، أو الفوتنج، هو نبات شجيري معمر، يرتفع عن الأرض في حدود 2 متر، أوراقه خشنة الملمس، عليها وبر، أزهاره وردية باهتة، محيطة بالساق على شكل عقد، الأوراق ذات رائحة طيبة عطرية نعناعية، له ثلاثة أجناس، بري وجبلي ونهري. و في المغرب يطلق على تسميته فليو ديال الماء ،فليو ديال الجبل، و بالامازيغية فليو، افيلقو ،فلقو ،مورسال ،تمرسة وقيل تيمرسطين، النعناع المشوك..

فأما البري Mentha Pulegium ، فهو نبات معروف بعجمية الأندلس وعامة مصر تسميه فلية بالفاء المروّسة. وهو ينبت في الصحاري ونباته طاقة، وورقته مدورة شبيهة بورق الصعتر.

وأما الجبلي البري فهو دقيق الورق ،سبط حريف (ربما هو الفليو عندنا) و البستاني أكثر أوراقا منه، وأخشن و أغلظ، وأقرب للاستدارة.

اما النهري، فهو الفوتنج المطلق، و قد يسمى حبق التماسيح، فيه طراوة حادة الرائحة عطرية، وهو ما يعرف باليونانية غليجن Pulegium ،و قد ذكره ابن سينا و قال إن الفودنج على أنواع منه غليجن و قال أحمدوش : الفودنج منه البري وهو الفليو و الفليا و البليا ،و الجبلي... وهو النعنع والحبق ، ومنه المشكطر المسبع وبعضهم عد منه النابطة التي هي الزوفا . (معجم الأعشاب).

[←121]

الجعدة: نبات طيب الرائحة ينبت في الربيع ويجف سريعا تستعمل في القديم ضد القروح والحميات ولدغ العقرب (ابن البيطار)

[←122]

الحاشا: صعتر بري – صعتر الحمير، مأمون لعدم غائلته. معجم الأعشاب.

[←123]

الأسطوخودس = سنجادس: وهو نبات دقيق الثمرة له حبة كحبة الزعتر إلا أنه أطول وأرق. طعمه مر ومطبوخه صالح لأوجاع الصدر ويقوي سائر الأعضاء (ابن البيطار)

[←124]

غاريقون (الاسم العلمي (Agaricus) (:هو جنس من الفطريات يتبع فصيلة الغاريقونية من رتبة الغاريقونيات. ويضم أنواع صالحة للأكل وأخرى سامة. يتكون هذا الجنس من الفطر أكثر من 300 نوع متوزعة على أنحاء العالم. ومن أنواعه المعروفة فطر الأزرار Agaricus bisporus وغاريقون الحقول Agaricus campestris وهو النوع المسيطر على زراعة الفطر في العالم الغربي.

ينمو على جذوع بعض الأشجار وهو على شكل كتل إسفنجية ليفية غير منتظمة الشكل تتكون من خيوط فطرية متداخلة ولونه بني من الخارج أبيض مصفر من الداخل ، طعمه في أوله حلاوة وفي آخره مرارة يستعمل كمسهل شديد ويسمى غاريقون أبيض أو غاريقون أنثى.

[←125]

دار صيني = القرفة وهي شجرة معمرة، دائمة الخضرة، اوراقها قلبية الشكل داكنة عطرية، وازهارها كثيرة وصغيرة ذات لون اصفر، ثمرتها عنبية سمراء اللون. تخرج من على الجذر فسائل عديدة خضرية تقطع من الجذر وينزع منها القشور وتكشط الاجزاء الداخلية والخارجية وتجفف وتربط في حزم وتعد للتصدير. اما المخلفات فيستخرج منها زيت القرفة.

يوجد من القرفة نوعان هما القرفة السيلانية والمعروفة علمياً باسم Cinnamomum Zeylanicum والنوع الثاني يعرف علمياً باسم Cinnamomum cassia وهي المشهورة باسم القرفة الصينية او الدار صيني. تعرف القرفة بعدة اسماء مثل الشليخة والدار صيني وتعرف باللغة الفرعونية باسم قاد.

[←126]

البلسان:Actafa Spicata شجر مهده الأصلي اوروبا وآسيا الشمالية. من فصيلة الخمانيات أبيض الزهر وعريضه يزرع غالبا للتزيين وله منافع جمة (المنجد)

[←127]

المَصطَكى أو المَصْطَقَى أو المُصْطَكاء أو المستكة (من اليونانية ·mastikhānمَستيخان ·· مَضغ) هو شُجيرة من عائلة الفُستقيّات تنمو في المناطق المتوسطية، ذات ثمار حمراء ثم سوداء. من أسمائها أيضا،Pistacia lentiscus، Lentisco lentisque. قال ابن منظور في لسان العرب أن المصطكى هو العلك الرومي، بينما قال أبو محمد عبد الله بن محمد الازدي الصحاري في كتاب الماء أنه اللبان المسقطي، فيما ذكر داود الأنطاكي في كتابه التذكرة بأنه معرّب عن مصطيخا اليوناني ويسمى العلك الرومي ولا يوجد إلا بصفاقس من أعمال رودس مما يلي الترك. والمستكة شجر صغير ينمو بحوض البحر المتوسط دائمة الخضرة لها ثمر أحمر مر الطعم.

تعتبر هذه المادة من المواد الصمغية التي تستخرج من جذوع الأشجار وتختلف جودتها بحسب نوع الجذع ومكان زراعته و هي عبارة عن فصوص راتنجية معروفة منذ القديم. (Wikipedia)

[←128]

الفقاع = الفقع هو فطر بري ينمو بعد موسم سقوط الأمطار في المناطق الصحراوية، وينمو بالقرب من الأشجار الضخمة كشجر البلوط، ويدفن تحت التربة. شكله كروي منتظم، وملمسه لحمي أملس، ويتدرج لونه ما بين الأبيض والأسود، ويختلف حجمه أيضاً؛ فهناك فقع صغير بحجم حبة البندق، وفقع كبير بحجم حبة البرتقال.

و الفقاع: الشراب يتخذ من الشعير سمي كذلك لما يعلوه من الزبد. والفقاع كذلك هو مفرد الفقاقيع من جنس الفطر. (المنجد).

[← 129]

البطم : شجرة من فصيلة البطميات تشبه شجر الفستق أوراقها صغيرة تحتوي على مادة التربنتين صمغه قوي الرائحة. (المنجد).

[←130]

الحصحص: التراب الدقيق (المنجد)

[←131]

الخربق: Ellebore جنس الزهر من فصيلة الشقاريات ورقه كلسان الحمل أبيض وأسود وهو سم للكلاب والخنازير وأما للناس فالأبيض منه يقيء والأسود يسهل المعدة وكان يستعمل في القديم لعلاج المجانين (المنجد).

[←132]

الحنظل: نبات يمتد على الأرض كالبطيخ وينبت على ضفاف البحر المتوسط. ثمره يشبه ثمر البطيخ ولكنه أصفر منه جدا وهو سام ويستعمل في اللب ويضرب المثل بمرارته (المنجد).

[←133]

النطرون: كربونات الصوديوم المائي وهو ملح من الأملاح الطبيعية وهو معدن كمعدن الملح في شكل ماء جاريا أو متحجر ويكون لونه إما أحمر وإما أبيض أو أغبر ومذاقه من الملوحة والحموضة ويستعمل في مداواة الاختناق والحمية والرياح... (المنجد – ابن البيطار)

[←134]

الخَربَق الأسود (باللاتينية: Veratrum nigrum) نوع نباتي يتبع جنس الخَربَق من الفصيلة الحوذانية.

[←135]

البلوط: شجر كبير غليظ الساق متين الخشب وثمرته بيضوية الشكل لها قمع يغطي قاعدتها وقشرة يابسة قاسية (المنجد).

[←136]

نطول : ماء يغلي فيه النباتات والحشائش ويصب على العضو المصاب (المنجد).

[←137]

بابونج : Camomille نبات عشبي من فصيلة المركبات ذو زهر أصفر كالذهب أو أبيض أو فرفري وله أغصان طولها نحو شبر. يستعمل لعسر الهضم والحمية وآلام التشنج (المنجد).

[←138]

اكليل الملك: Romarinحشيشة من فصيلة السفويات ذات ورق مدرهم أخضر غض وأغصان دقاق مخلخلة الورق ولها زهر أصفر صغير له رائحة طيبة. يحتوي على زيت طيار مع التربنتين ومواد قابضة ومسكنة للتشنجات ومواد مدرة للصفراء والبول والحيض وأخرى منشطة للأعصاب (المنجد) (رويحة)

[←139]

البنفسج (بالإنجليزية: Wild Viola) جنس نباتي ينتج أزهاراً بنفسجية أو بيضاء اللون. ويوجد منها من 400 إلى 500 نوع مختلف حول العالم توجد معظم أنواعها في نصف الكرة الأرضية الشمالي، وتنتشر بشكل خاص في هاواي، أستراليا وأمريكا الجنوبية. (ويكي بيديا).

[←140]

اللينوفر:Nuphar ويقال أيضا نيلوفر هو ضرب من النباتات ينبت في المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق مرساء تطول حسب عمق الماء فإذا صارت سطحه أورقت وأزهرت (ابن البيطار).

[←141]

السكبينج = نبات شبيه بالقثاء في شكله وأجوده ما كان منه صافي اللون وكان خارجه أحمر وداخله أبيض رائحته كالحنتيت يستعمل لمداواة الفالج وأوجاع الصدر والسعال المزمن. (ابن البيطار)

[←142]

الحسك = نبات ينبت في الخربات وعند الأنهار وورقه شبيه بورق البقلة الحمقاء إلا أنه أدق منه وله قضبان طوال منبسطة على الأرض وعند الورق شوك صلب يصلح في القولنج ويرطب حصا الكلى والمثانة (ابن البيطار).

[←143]

القنطريون = Centaura Cyanus –Erythraea Centaurium جنس زهر من فصيلة المركبات أنواعه عديدة ومعظمها شائك يستعمل كدواء ضد الحمى (المنجد).

[←144]

الاكتئابات الانهاكية، حسب كيلهولتز،Dépression d’épuisement ، Kielholtz ، هي حالات اكتئابية ناتجة للتعرض مدة سنوات طويلة إلى صدمات نفسية شعورية مزمنة أومتكررة.

[←145]

Dépression neuro−thymiques ou névrotique

[←146]

–عن زينب بنت أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قالت: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب رَضِي اللَّه عَنْهُ فدعت بطيب فيه صُفْرَةُ خَلُوق أو غيره فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت: والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول على المنبر: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[←147]

"لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" سورة الحديد الآية 23.

[←148]

حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة، متفق عليه.

[←149]

قولة شهيرة، ولكن لا يوجد حديث بلفظ " لا رهبانية في الإسلام " .. والصحيح "إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة" حديث رواه الطبراني عن حديث سعيد ابن العاص.

[←150]

أخرجَ الإمامُ البخاريُّ في :"صحيحه" بسندهِ عنْ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : (أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي).

[←151]

عن بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه " اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناءك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك " أخرجه الحاكم في المستدرك رقم (7846) 4 / 341 وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

[←152]

روي أن أعرابيا قال لابن عباس رضي الله عنهما إن العرب تقول: "حب التناهي شطط خير الأمور الوسط "، فهل تجد ذلك في القرآن ؟ قال له نعم ذلك في خمسة مواضع فى القرأن:

– في قوله تعالى في وصف بقرة موسى عليه السلام:

"قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّك يُبَيَّن لَّنا مَا هِيَ قَالَ إِنَّه يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ" سورة البقرة، أي : وسط بين الكبر والصغر في السن.

– وفي قوله تعالى: "وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مّحْسُوراً" سورة الإسراء أي فتوسط بين الأمرين في الإنفاق.

– وفي قوله تعالى: "وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً" سورة الإسراء : وهذا السبيل هو الوسط في القراءة والدعاء

– وفي قوله تعالى في مدح عباد الرحمن المعتدلين "وَالَّذينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً" سورة الفرقان، :أي وسطا في المعيشة

– وفي قوله تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا".

– وما خُيِّر صل الله عليه وسلم بين أمرين إلا واختار ايسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه.

[←153]

حديث أخرجه النسائي بسند حسن.

[←154]

حديث متفق عليه.

[←155]

"كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ" سورة الرحمان الآية 26-27

[←156]

الموْتُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخِلُهُ يا ليْتَ شعرِيَ بعدَ البابِ ما الدَّارُ
الدَّارُ جنَّةُ خلدٍ إنْ عمِلتَ بِمَا يُرْضِي الإلَهَ، وإنْ قصّرْتَ، فالنُّار
هما محلان ما للناس غيرهما فانظر لنفسك ماذا أنت تختار. (أبو العتاهية 747 – 826 م شاعر عربي مسلم، كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره)

[←157]

الرجوع إلى مقال الأستاذ سليم عمار "الانتحار، مشكلة الصحة العمومية" الذي صدر في مجلة تونس الطبية عدد 2 مارس – أفريل 1972 (نص أصلي فرنسي).

[←158]

الكورتيزون = الكورتيزونات عبارة عن مركبات مشتقة من هرمون يفرزه جسم الإنسان من غدة صغيرة تلتصق بالكلية تسمى الغدة فوق الكلوية أو الغدة الكظرية، وتفرز هذه الغدة مواد أخرى تسمى الموصلات العصبية (الأدرينالين والنورأدرينالين)، وتتحكم بعمل الغدة الكظرية غدة أخرى موجودة في الدماغ تسمى الغدة النخامية، حيث تفرز لها هرمونًا يأمرها بإفراز الكورتيزون اللازم للقيام بالكثير من العمليات الحيوية في الجسم على مدار الساعة.

[←159]

Le sarrasin (Fagopyrum esculentum Moench) est une plante à fleurs annuelle de la famille des Polygonacées cultivée pour ses graines consommées en alimentation humaine et animale.

[← 160]

Hystéroïde.

[←161]

غوتفريد فيلهيلم لايبنتز(1646– 1716) (Gottfried Wilhelm Leibniz)
فيلسوف وعالم طبيعة وعالم رياضيات ودبلوماسي ومكتبي ومحام ألماني الجنسية.
قام لايبنتز بمساهمات كبيرة في علم الفيزياء والتقنية كما أنه تنبأ بأفكار ظهرت لاحقاً على أسطح الفلسفة، نظرية الاحتمال، البيولوجيا، الطب، علم الأرض، علم النفس، اللغويات، وعلم المعلومات. ألف في الفلسفة، السياسة، القانون، الأخلاق، اللاهوت، التاريخ، وفلسفة اللغة. هذه المساهمات العريضة كانت منشورة ومتوزعة ما بين دوريات وعشرات الآلاف من الرسائل والمخطوطات.

[←162]

Jean Delay, né le 14 novembre 1907 à Bayonne et mort le 29 mai 1987 à Paris, est un psychiatre, neurologue et écrivain français.

[← 163]

حسب الأستاذ إيريك ويتكور Eric Wittcower من جامعة مونريال الكندية، فإن مصطلح الطب النفسي المقارن عبر العصور، ينطبق على المظاهر المتباينة والمتضادة للطب النفسي في كل من الأوساط الثقافية عبر حاجز الزمان والمكان.

[← 164]

Groupement syndromique

[←165]

الإبلمسيا = داء الصرع وتسمى Epilepsie.

[←166]

ريح الصبا: يعرف العرب هذه الريح بأنها الريح التي تستقبل القبلة، فهي تحن إلى الكعبة وتصبو إليها. ويكون مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش، وهي ريح طيبة النسيم.

وقد أشارت كتب التفسير إلى أن ريح الصبا هي التي سخرها الله لنبيه سليمان عليه السلام غدوها شهر ورواحها شهر، وكذلك فهي الرياح التي نصر الله بها النبي صلى الله عليه وسلم في غزواته.

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور).

قال الشاعر ابن عرفه نفطويه يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

له دعوة ميمونة ريحها الصبا ... بها أنبت الله الحصيد والأبا

والأب هو: كل ما أنبتت الأرض مما لايأكله الناس، والحصيد هو: كل ما تنبته الأرض ويأكله الناس.

ولقد قيل في رياح الصبا أنها إذا استنشقها الإنسان المهموم، وخاصة في ساعات الصباح الأولى فانه يشعر بعدها بالنشاط والحيوية وسعة الصدر والصبا والشباب، قال مجنون ليلى:

فان الصبا ريح إذا تنسمت ... على نفس مهموم تجلت همومها

ولقد عرفت رياح الصبا في الجزيرة العربية بأسماء عدة من بينها (صبا نجد)، وقد عرفت في الجاهلية والإسلام برياح أبي عقيل، وذلك نسبة إلى الشاعر العربي لبيد بن ربيعة العامري – وهو أحد أصحاب المعلقات السبع – ولما ظهر الإسلام أسلم وحسن إسلامه، وبعد أن قرأ القرآن ترك الشعر؛ ولما سئل عن ذلك أجاب قائلا: لقد أبدلني الله خيرا منه وهو القرآن .

[←167]

1 – جريدة الرياض الجمعة 26 أكتوبر 1979.

[←168]

Yves Pélicier, Chef de Service de psychiatrie, Hôpital Necker de Paris.

الفهرس

مقدمة
اهداء
قسم ابقراط
هيكل الدراسة
I - المقدمة: تاريخ الطب
II - حياة اسحاق بن عمران
III تاريخ مرض الماليخوليا
IV - دراسة وتحليل مخطوط
V- الخاتمة
VI- المراجع والملاحق
الفهرس

طبيب نفساني تونسي، أصيل بني حسان، ولد في 6 أكتوبر 1952 بتونس.

درس بالمدرسة الإبتدائية الباب الجبلي بسوسة، ثم بالمعهد الثانوي للذكور بسوسة، ثم بكلية العلوم ثم بكلية الطب بتونس ثم بكلية الطب روني ديكارت بباريس.

اشتغل كطبيب مختص في الطب النفسي بمستشفى الرازي بمنوبة ثم بعيادة خاصة بسوسة، من 1976 إلى 2019.

تميز في مساره المهني بالبعد الإجتماعي وإشتهر في مجال العمل المدني التطوعي والجمعياتي.

حقوق الطبع محفوظة للكاتب

الثمن : 20.000 د.

ISBN : 978-9938-40-435-7

9 789938 404357

KOTOBONLINE
كتب للجميع

يتم تنشر هذا الكتاب بترخيص من المؤلف